رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2337) السنة التاسعة
الإثنين (19) كانون الاول 2011

4

الجواهري يتذكر ايامه مع الزهاوي

جسور بغداد .. قديماً

المس بيل وتأسيس المتحف العراقي

من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث

تقديم

يسر ملحق (ذاكرة عراقية) ان يعيد نشر بعض فصول كتاب رائد ، يعد وثيقة مهمة لتاريخ الحركة الفنية في العراق الحديث ، لمعلوماته الزاخرة وفوائده الجليلة عن صفحات منسية من بدايات اليقظة الفنية في العراق ، كتبه صحفي قير ، من أوائل المحررين للصفحات الفنية في الصحافة العراقية ، انه الصحفي الراحل عبد المنعم الجادر ، وكتابه القيم (من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث) الصادر ببغداد عام ١٩٥٠ .

وترد في الكتاب أسماء كثيرة لمن عمل في الوسط الفني في العراق ، بكل صوره وأنماطه ، ولا نعرف ماذا حل بهم بهؤلاء الرواد في السنين اللاحقة؟ كما ترد اسماء جماعات واماكن مختلفة لجانب زاهر من جوانب (الزمن الجميل) ، ان الذاكرة العراقية حرية بأستعادة هذه الصور عن هؤلاء الذين نحتوا في الصخر واسسوا شيئا من لاشيء ، وثبتوا دعائم ما شيدوه ، وقدموا للاجيال الطالعة الشيء الجزيل . وتنبيه الجيل الجديد الى ان العراق لم يخل يوما برفد نهضته الفكرية بكل مشاهدها ، وأن سحابة التقهقر والتخلف والتخندق المظلمة ، ماهي الا سحابة صيف . فالذي لحظناه جاسمة النهضة الفنية التي انبثقت في العراق بعد الحرب العالمية الثانية ، وكثرة صالات العرض المسرحي والسينمائي في جميع انحاء العراق ، وتنافس الفرق الفنية والشركات السينمائية المستوردة بتقديم كل جديد ومفيد . ولعل من المناسب ذكره انه في أوائل الستينات ، كان عدد دور السينما في العراق قد بلغ نحو خمسين دارا ، ومن الطريف ان محافظة الديوانية كانت تضم اربعة دور سينما ، بل ان احد الاقضية وهو خانقين قد شهد افتتاح صالة عرض !! . ومن المؤسف حقا ان يبدأ هذا العدد الكبير بالانحسار منذ منتصف السبعينيات حتى ال الامر الى أغلاقها بالمرة على أيامنا هذه وتحولت الى محال تجارية . ولايبدو الامر صعب التفسير ، فبلد مثل العراق تناهبته الحروب والاهواء ، وشعب تناوشته سلطات لاتعرف شيئا اسمه الفن ، وتغلب قيم التخلف والغيبيات والتعصب في الصراع بين البداوة والحضارة (المصطلح الاثيرللدكتور علي الوردي) ، جدير بهذا التقهقر المريع ، وان كان مؤقتا كما ارى .

والاستاذ الراحل عبد المنعم الجادر (١٩٢٩–١٩٧٥) ، بدأ حياته الصحفية في الاربعينيات بعد ان ترك الدراسة في الكتابة عن الافلام الي كانت تعرض في دور السينما ببغداد في جريدة الزمان ومجلة المجالي ، وفي عام ١٩٤٦ اصدر مجلة نصف شهرية بأسم (السينما والمسرح) ، وفي عام ١٩٥٠ اصدر جريدة اسبوعية باسم الشباب ، ثم عمل في صحف مختلفة الى ان أصدر جريدته الذائعة (كل شيء) عام ١٩٦٣ ، وبعد اغلاقها بصدور قانون الموسسه العامة للصحافة عمل محررا في جريدة الجمهورية ، والصفحة الاخيرة فيها وكانت من افضل الصفحات المنوعة في الجرائد العراقية يومئذ ، الى وفاته في اواخر حزيران من عام ١٩٧٥ . كتبت مجلة الاذاعة والتلفزيون في تأبينه : ... مات عبد المنعم الجادر ، ذلك الشاب الذي لايكتهل ، وسكن ذلك المرح الصادق ، هل كان حقا ان يموت الشاب ويترك حسرة وغصة في قلوب أحبته . لقد بقيت محموعته الشعرية التي أصدرها قبل موته بفترة قصيرة بين ايدي اصدقائه ، يقراون حروفه التي سطرها من قلبه ، في رحلاته وفي ساعات تعبه ويقظته ..

عرفته المجالس الادبية ببغداد متحدثا لبقا وشخصية محببة للجميع بابتسامته وظرفه ، وكانت مجالس الطبيب عبد المجيد القصاب وجعفر الخليلي وناجي جواد الساعاتي الاثيرة لديه ، وأضفى عليها اجواء البسمة والحب . وقد ترك عددا من المؤلفات القيمة: ١ . تاريخ المسرح والسينما في العالم ٢ .فنانون عالميون ٣ . من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث ٤ . قصائد وقصص ٥ .ثورة للمعارك والحب والشعر .

عبد المنعم الجادر

اذاعة بغداد

تعتبر الاذاعة من اهم الوسائل التي تسمع صوت البلاد للعالم الخارجي ، كما تعتبر من وسائل نشر الثقافة ومحاربة الجهل بما تذيعه من احاديث ثقافية وتربوية وادبية وطبية.

وبالاضافة الى ما تقدم فانه من خير الوسائل لنشر الفنون ، حيث يستمع الجمهور الى كل انواع الموسيقى والطرب ، والاحاديث الفنية عن الرسم والنحت ، والروايات التمثيلية الاجتماعية ، وتصرف الحكومات مبالغ وجهود كبيرة لتقوية برامج اذاعاتها .. فتخصص السيارات والطيارات لتضعها تحت تصرف رجالات الفنون والاداب والثقافة ليذيعون برامجهم في الوقت المناسب كما تخصص رواتب ضخمة لموظفيها وفنانيها ومستخدميها . وتعتبر كل اذاعة ، الجريدة الرسمية الناطقة بلسان حكومة البلاد التي تكون الاذاعة فيها .. وقد كانت الاذاعة من المخترعات العظيمة في القرن العشرين.

ولاشك ان الاذاعات من مستلزمات تمدن كل بلد .. وقد نرى في بعض البلاد الكبيرة كاميركا وانجلترا ، مئات من دور الاذاعة واكثر هذه الاذاعات يملكها افراد الشعب ، فيذيعون برامجهم الادبية والفنية الخاصة .. وفي اميركا نرى لكثير من الشركات الكبيرة اذاعات خاصة . فمثلا شركة الصابون المتحدة الاميركية في "نيوجرسي" . تملك دارا للاذاعة عظيمة فخمة ، وبرامجها تضاهي برامج كثير من البلاد الخارجية ، وفي اذاعة لها استاجرت المغني الاميركي الشهير "فرانك سيناترا" لكي يغني اسطوانة خصصت للدعاية لصابونها ودفعت له اجرا خياليا "عشرة الاف دولار"؟ "عشرة الاف دور ثمنا لغنا اسطوانة خصصت للدعاية".

ومن هنا ندرك قوة الاذاعة في التاثير على المستمعين وندرك ايضا ان المبالغ الجسيمة التي تخصص للاذاعة لا تذهب عبثا .. بل تجلب من الفوائد ما تساوي اضعاف اضعاف ما يدفع من المال..

الاذاعة عندنا:

ولهذا فطن المسؤولون لهذه الفوائد الكبيرة التي يجنيها البلد من وجود اذاعة فيه .. فعملوا لايجاد هذه الاذاعة .. واخذوا يدرسون الامكانيات والوسائل والقابليات الكافية للشروع بتأسيسها وكان ذلك في عام ١٩٣٤ .. وبعد الاتفاق مع الشركة المختصة لتزويد العراق بما يحتاجه من آلات ومكائن ومهندسين .. اتفقت على الارض التي خصصت لها .. وفي عام ١٩٣٥ بدأت المحاولات لاذاعة البرامج الاذاعية العراقية ..

ثم بدأ البث الحقيقي، وكان اول برنامج اذيع من دار الاذاعة اللاسلكية للحكومة العراقية ببغداد في ١٩٣٦/٦/١ ، وكان هذا البرنامج لمدة اربعة ساعات فقط . وكانت البرامج تذاع يومين في الاسبوع فقط . وكانت الموجة التي تبث فيها هذه البرامج هي المتوسطة فقط ..

وكانت مديرية الاذاعة سكرتارية تابعة لوزارة المعارف الجليلة .. ونظرا لتلهف الجمهور العراقي لسماع اذاعته الصميمة فقدتقرر ان يكون البث ثلاثة ايام في الاسبوع بدلا من يومين .. ثم زيدت الى الاربعة ايام في الاسبوع .. ومع هذا فقد اخذت الطلبات تنهال من جميع العراقيين طالبة جعل الاذاعة يومية وبدون انقطاع . فنزلت دار الاذاعة عند رغبة الجمهور وجعلت البرامج يومية، ثم زيدت ساعات البث وبعدها اوجدت البرامج الصباحية..

وفي اوائل عام ١٩٣٩ الحقت الاذاعة العراقية بمديرية الدعاية العامة وجعلت مديرية بدلا من سكرتارية ولازالت الى اليوم..

دار الاذاعة:

ومحطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة العراقية تقع في جانب الكرخ من بغداد في شارع المنصور.. قرب تمثال ساكن الجنان وباني مجد العراق المغفور له جلالة الملك فيصل الاول، مشيدة على مساحة كبيرة من الارض تحيط بها حديقة جميلة.. وبعد ان تخترق المعنى الذي تقع على جانبيه الحديقة الغناء، تصعد بضعة سلالم فندخل الردهة الواسعة الفخمة، واول غرفة تقع على يمين الزائر بعد صعوده السلالم، هي غرفة المدير، وامام غرفة المدير، تقع غرفة الانتظار وهي غرفة فسيحة مؤثثة باثاث فاخر.. وبعد ان يجتاز الزائر الردهة الاولى، يصادفه الاستوديو رقم "١" وامامه غرفة المراقبة وامامه يقع الاستوديو رقم "٢" وباقي الاستوديوهات.. وعلى اليمين يوجد ممر صغير يفضي الى ممشى طويل يؤدي الى غرفة الموظفين والفنيين في المرسلات..

الملك فيصل الثاني في دار الاذاعة والتلفزيون

استوديوهات الاذاعة:

تتكون الاستوديوهات في دار الاذاعة اللاسلكية العراقية من خمسة ستوديوهات، خصصت على الوجه الاتي:

الاول: للمحدثين والمذيعين..

الثاني: للحفلات الموسيقية والغنائية والتمثيلية.

الثالث: للمنهج الكردي.

الرابع: للبروفات.

الخامس: للاحتياط.

وتقسم البرامج في دار الاذاعة العراقية الى قسمين:

الاول: للاذاعة الداخلية. وهي تشمل المنهج العربي والمنهج الكردي.

الثاني: للاذاعة الخارجية. وهو يشمل المنهج الغربي. وهذه الاذاعة موقتة الان وتذاع برامجها مرتين في الاسبوع.

موجات الاذاعة:

وتذيع محطة الاذاعة العراقية على ثلاث موجات:

الاول: متوسطة وطولها ٣٩١ مترا.

الثانية: قصيرة وطولها ٤٢,٣٧ مترا.

الثالثة: قصيرة ايضا وطولها ٤٢,٤٨ وتستعمل للمنهج الكردي.

اقسام الاذاعة الادارية:

للاذاعة العراقية لجنة مشرفة على برامجها واعمالها ويترأسها الاستاذ كمال ابراهيم وكيل مدير الدعاية العام.

واعضاؤها: معالي الدكتور محمد حسن سلمان، والدكتور عبد الحميد كاظم عميد دار المعلمين العالية، والاستاذ عبد الغني الدلي مدير المصرف الصناعي، والاستاذ حسين علي الاعظمي الاستاذ في كلية الحقوق، والاستاذ حسن الدجيلي مدير الاذاعة.

قسم الاخبار:

ويرأسه المحامي الاستاذ توفيق الصالح ويعاونه الاستاذان عبد الكريم الناصري ووجيه.

القسم الفني:

يترأسه السيد يعقوب زيونه وكيل مهندس، والسيد يعقوب بصري ملاحظ فني، والسيد ناجي صالح مراقب الاذاعة الفني، والمأمورون الفنيون: ابراهيم الحاج، وخضير الحاج ياس، وعبد الوهاب العزاوي، وابراهيم صالح، وداود السامرائي، ومحمد جعفر، وحميد المحل، ونوري عواد، واحمد ابراهيم.

قسم الادارة:

يترأسه مدير الاذاعة الاستاذ الدجيلي ويعاونه

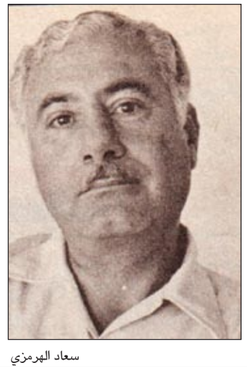

سعاد الهرمزي

ام كلثوم

زكية جورج

مذيعو اذاعة بغداد في الخمسينات يظهر بينهم من اليمين ناظم بطرس صبيحة المدرس، محمد علي كريم، والواقفون من اليمين سعاد الهرمزي حافظ القباني عادل نوري، فيصل حسون فالمرحوم قاسم السعدي

الاستاذ مهدي القزاز مراقب الاذاعة.

قسم الموسيقى:

ويتكون من فرقتين موسيقيتين: فرقة الاذاعة ويرأسها يوسف زعرور والتخت الشرقي ويرأسه روحي الخماش، ويتبع فرقة الموسيقى فرقتي الكورس والموشحات، وفي عهد الاستاذ الدجيلي رأينا كثيرا من الموسيقيين المثقفين يدخلون الاذاعة في فرقها، ونذكر منهم: الاستاذ منير بشير خريج معهد الفنون الجميلة ومدرس العود هناك، والاستاذ جمال سري خريج معهد الفنون الجميلة فرعي الموسيقى والتمثيل والطالب في كلية الحقوق والمحاضر في المعهد والسيد سالم حسين خريج المعهد ايضا ، وغيرهم.

اما مراقب الاحاديث فهو الاستاذ قدري الكيلاني.

شعبة الاوراق والمناهج:

يترأسها الاستاذ عباس علوان الصالح.

القسم الكردي: ويرأسه الاستاذ كامل امين، ومذيعوه: كريم سعيد، رؤى الخالدي، ويدار القسم الكردي على اعتباره شعبة مستقلة.

قسم التمثيل:

وقد عين الاستاذ عبد الله العزاوي مشرفا على التمثيليات في دار الاذاعة، كما الفت فرقة تمثيلية خاصة بدار الاذاعة.

وتتألف هذه الفرقة من بعض خريجي معهد الفنون الجميلة "فرع التمثيل" واعضاؤها: الاستاذ المحامي نايف الشبلي والاستاذ المحامي عبد الستار البصام والاستاذ ابراهيم محمود جلال والاستاذ اكرم جبران والاستاذ المحامي جلال عباس فضلي.

وهناك كثير من الاقسام الاخرى.. والزائر اليوم لدار الاذاعة العراقية يرى عملية انقلاب خطيرة تجري فيها.. فهناك يعمل الفنيون لنصب المرسلات التي يؤمل الانتهاء منها بعد مدة وجيزة، حيث تستطيع بغداد الحبيبة ان تسمع صوتها الى كافة انحاء المعمورية..

لقد اجمع كافة من زار دار الاذاعة العراقية من رجال الادب والفن من الاقطار الشقيقة والصديقة على ان ابنية الدار من غرفة واستوديوهات في احسن وانظم بناء من بقية دور الاذاعة في كل من "بيروت" ودمشق والقدس، والقاهرة"

برامج الاذاعة:

وبرامج الاذاعة العراقية اليوم تضاهي برامج اقوى دور الاذاعة في العالم، وتشمل: قراءة القرآن الكريم، وخمسة نشرات للاخبار اليوم ونشرة باللغة الكردية، واحاديث تربوية ودينية وادبية وثقافية، وعدة حفلات غنائية، واذاعة اسطوانات متنوعة، واشرطة مسجلة غنائية من الاقاليم العربية، واحاديث للاطفال، ونقل بعض الحفلات الادبية والدينية والتمثيلية والغنائية، وفي ايام الجمع تنقل الصلاة من مساجد بغداد الكبيرة. وقد قامت دار الاذاعة بنقل الحفلات المتنقلة فقد نقلت حفلات استقبال سيد البلاد الملك المفدى، وسمو الوصي المعظم وزيارة فخامة بشارة الخوري، وحفلة افتتاح البرلمان، وغير ذلك.. كما ساهمت دار الاذاعة العراقية في الاحتفال بكافة اعيادنا القومية..

وقد نقلت دار الاذاعة دروس كثير من اعلام الادب والفكر في البلاد العربية نذكر منهم: المرحوم علي الجارم بك، المرحوم المازني الدكتور زكي مبارك، العلامة الشيخ الشبيبي، المرحوم الرصافي الزيات، وغيرهم.

كما قامت الدار بنقل اكبر مجموعة من اصوات المطربين والمطربات الشرقين نذكر منهم: الانسة ام كلثوم، رجاء عبده، نجاح سلام، سعاد زكي، راوية، فتحية احمد ، آمال حسين، شهرزاد، ليلى حلمي، هيام عبد العزيز، عصمت عبد العليم، نرجس شوقي، زكية جورج، فروق سهامي، محمد عبد المطلب، محمد سلمان، ونورهان، وغيرهم.

مطربات ومطربو الاذاعة:

ومن المطربين الذين يقدمون حفلاتهم الغنائية في الوقت الحاضرة حسن خيوكة، عبد القادر حسون، عبد الرحمن خضر، سمير، محمد كريم، عبد الجبار امين، ناظم الغزالي، يحيى عبد القادر، وغيرهم..

ومن المطربات: لميعة توفيق، وعفيفة اسكندر، ونرجس شوقي، وراوية، وفتاة دمشق وغيرهن..

وللاذاعة العراقية جوقين موسيقيين احدهما حديث ويترأسه الاستاذ روحي الخماش، والثاني قديم.

المذيعون:

١- محمد علي كريم.

٢- الانسة صبيحة المدرس.

٣- موحان طاغي.

٤- سعاد الهرمزي.

٥- فيصل حسون.

٦- ناظم بطرس.

وقد تقلب في منصب المذيعين كثيرا من الشباب المثقف نذكر منهم: الاستاذ كاظم الحيدري، حسين الكيلاني، حميد الدروبي، ومحمود المعروف وغيرهم..

وقد قدمت كثيرا من الفرق والجمعيات الفنية روايات تمثيلية من دار الاذاعة العراقية نذكر منها:

فرقة الزبانية، جمعية اخوان التمثيل والسينما فرقة الاستاذ عبد الله العزاوي، فرقة المسرح والسينما، فرقة معهد الفنون الجميلة، الفرقة الشعبية، فرقة امجاهد.

ولاشك ان الاذاعة ادخل عليها كثيرا من التحسينات اخيرا، فقد تبدلت المناهج تبدلا محسوسا، وسمع الناس الوانا جديدة من الاحاديث العلمية والتربوية والادبية والاجتماعية بعد ان يبدأ البث من الاذاعة الجديدة العالمية في اوائل عام ١٩٥١.

صحافة المحافظات

صحف ومجلات صدرت في كربلاء

تعتبر مدينة "كربلاء" من المراكز الدينية المقدسة في العالمين العربي والاسلامي اضافة الى مركزها العلمي والثقافي، فالصحف والمجلات التي صدرت فيها كانت تتسم بطابع الثقافة الادبية والدينية وتستطيع ونذكرها هنا حسب تواريخ صدورها.

× الجرائد

١- الاتفاق: جريدة عربية يومية صاحبها الحاج ميرزا علي صدرت في كربلاء بتاريخ ١ آذار ١٩١٦، توجد اعداد منها في مكتبة المجمع المعلمي العراقي.

٢- الغروب: جريدة ادبية اسبوعية مصورة صاحبها عباس علوان الصالح ومديرها المسؤول حسين محمد علي المحامي ظهرت يوم الاربعاء ٢٤ تموز ١٩٢٥.

٣- الندوة: جريدة اسبوعية ادبية جامعة صاحبها "ندوة الشباب العربي" مديرها المسؤول محمد مهدي الوهاب آل طعمة المحامي، صدرت سنة ١٩٤١ وظهر منها ١٤ عددا.

٤- القدوة: جريدة ادبية جامعة نصف اسبوعية صاحبها رحيم الكيال مديرها المسؤول حسن عبد الله المحامي ظهرت في ٢ نيسان ١٩٥١ وتوقفت بعد فترة توجد في المكتبة الوطنية الاعداد من ١ – ٦٠.

٥- المجتمع جريدة اسبوعية عامة صاحبها جاسم كلكاوي مديرها المسؤول عبد اللطيف الدارمي صدرت عام ١٩٦٢، توجد في المكتبة الوطنية الاعداد ١– ٢٠.

٦- النهوض: جريدة شهرية صاحبها "جمعية النهوض الاسلامية" رئيس التحرير عبد علي الساعدي، منحت الامتياز في ١٩٦٧/١٢/٢٠.

٧- مبادىء الاسلام: نشرة اسلامية عامة بانكليزية صاحبها "المكتب الاسلامي"

× المجلات:

١- رسالة الشرق: مجلة ادبية ثقافية شهرية صاحبها ورئيس تحريرها صدر الدين الحسيني مديرها المسؤول محمد حسن حيدر المحامي صدرت سنة ١٩٥٢ والغي امتيازها في ١٢/١٧ ١٩٥٤ توجد في المكتبة الوطنية الاعداد ١–١٠.

٢- الرشاد: نشرة ادبية ثقافية جامعة صاحبها "ثانوية كربلاء" للبنين رئيس التحرير سلمان هادي طعمة، صدرت عام ١٩٥٢.

٣- اجوبة المسائل الدينية: مجلة دينية ثقافية صاحبها "لجنة الثقافة الدينية في كربلاء المقدسة" صدرت عام ١٩٥٥.

٤- انوار الفجر: مجلة مدرسية ثقافية عامة صاحبها "ثانوية كربلاء للبنين" رئيس التحرير موسى ابراهيم الكرباسي صدرت عام ١٩٥٦ يوجد في المكتبة الوطنية العدد الاول.

٥- الاخلاق والاداب: نشرة شهرية تعنى بشؤون الدين والاجتماع صاحبها لفيف من الروحانيين صدرت سنة ١٩٥٨.

٦- صوت الدار: دار المعلمين الابتدائية صدرت عام ١٩٥٨.

٧- الحياة التجارية: مجلة اقتصادية صاحبها ثانوية المعلمين المسائية في كربلاء صدرت عام ١٩٥٨.

٨- الاقتصاد: صاحبها غرفة تجارة كربلاء صدرت في ١٥ تموز ١٩٦٠ توجد في مكتبة سلمان هادي طعمة ٩ أعداد.

٩- صوت شباب التوحيد صاحبها هيئة شباب التوحيد صدرت عام ١٩٦٢ وصدر منها ثلاثة اعداد فقط.

١٠- الاصل: نشرة ادبية ثقافية صاحبها "مدرسة الشريف الرضي" رئيس التحرير سلمان هادي الطعمة ظهرت في كربلاء عام ١٩٦٢.

١١- ذكريات المعصومين: صاحبها لفيف من الروحانيين صدرت في كربلاء عام ١٩٦٥ توجد في مكتبة سلمان هادي الطعمة.

١٢- الرائد: مجلة ادبية تربوية عامة صاحبها "نقابة المعلمين في كربلاء، مديرها المسؤول عدنان غازي الغزالي رئيس التحرير عبد الجبار عبد الحسين صدرت عام ١٩٦٨ توجد في المكتبة الوطنية الاعداد (١–٤).

١٣- رسالة المعلم: مجلة ثقافية تربوية عامة صاحبها معهد وادار المعلمين الابتدائية في كربلاء عام ١٩٦٨ يوجد في المكتبة الوطنية العدد (١) ١٩٦٨.

١٤- الحرف: مجلة علمية تربوية ادبية سنوية صاحبها "مديرية ادبية سنوية صاحبها "مديرية تربية كربلاء" صدرت عام ١٩٦٩ ولازالت مستمرة.

الجواهري يتذكر أيامه مع الزهاوي

كان الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري قد كتب شيئا من ذكرياته عن الشاعر الزهاوي الذي ربطته به صلة جديرة بالتحقيق والتنويه لأهميتها وطرافتها. ولعله لم يكن امامه هذا النص عندما كتب مذكراته المنشورة.
وتنشر (ذاكرة عراقية) هذا النص النادر لاهميته الادبية والتاريخية.

محمد مهدي الجواهري

لكلمتي هي عن ذكرياتي عن الفقيد الزهاوي، لايصح لي ان اتجاوزها الى غيرها، ولا ان اقحم معها جانبا اخر من جوانب حياة الزهاوي لابد ان يكون من حصص الباحثين الاخرين عنها، ومع هذا لابد لي – كما لابد لغيري اذ يتناول اية ناحية من تلك النواحي المتعددة – ان اقرن هذه الذكريات بلمحات خاطفة عن الشاعر وعن مرحلته وعن بعض خصائصه الفنية والفكرية والحيوية، ذلك لما بين هذه اللمحات وهذه الذكريات من ترابط وتلاحم.

وقبل هذا كله يجب الاشارة الى ان اسلوبنا نحن الادباء العرب بل نحن الادباء الشرقيين في التحدث عن حياة من نعني بالتحدث عن حيواتهم من الرجال البارزين في مجالات الفكر او الادب او السياسة او الوطنية ليختلف كل الاختلاف عن الاساليب المتبعة لدى غيرنا من ادباء العالم المنطلقين في هذا المجال بالذات.

فحتى الان وقد تطور العالم كثيرا في اساليب البحث عن الحقائق والحيوات والحوادث والاشخاص ما نزال نرى في إحياء ذكريات الاعلام عندنا مجرد التنويه بمحاسنهم ومحض التستر على عيوبهم وحتى على ملامحهم الخاصة بهم وسماتهم المميزة إياهم اذا كانت هذه الملامح والسمات تخالف امثالها ونظائرها المتعارف عليها لدى السواد والعامة، ومن نقطة الضعف هذه في البحث عندنا كانت اكثر المؤلفات التي الفت عن حياة هذا الشاعر العربي المعاصر او ذاك خالية من كل ما يشبع فضول القارئ، وما يروى غلته في التعرف الى ملامح هذا الشاعر المحبب إليه او غيره التي يخالف بها الاخرين، والى السمات التي تميزه عن غيره من السواد المألوف، والى مبادئه التي يكون عليها في بيته، او في مجلسه، او في ساعات سمره، او اوقات فراغه، ثم الى مدى بساطته في تناول امور الحياة، ومدى خروجه الى المألوف المعتاد منها، وعلى السفساف المتهافت من العادات والتقاليد، ومدى جرأته على شجب هذا وذاك، وعلى الجهر بما يشجب منها، وعلى اذاعته ما يعتقد وما يرتئي من ذلك في محيط اوسع، وفي دائرة اكثر شمولا، وعلى مدى استعداده لدفع الثمن المطلوب من كل من هو على هذه الشاكلة من المفكرين الاحرار، ثم على مدى تورطه هو في هوات المجتمع السحيقة.

ترى اين كان يكون بحث كهذا عن حياة الرصافي او الكاظمي او الحبوبي الكبير رحمهم الله من مجرد بحث متزمت خائف محافظ بل مبتور ايضا في الاتجاه السياسي للشاعر؟ وماذا كان له من موقف واخر تجاه السلطة الحاكمة، او تجاه الملوك والامراء الحاكمين؟ او بحث اكثر تزمتا وخوفا ومحافظة في الاتجاه الفكري، وما كان للشاعر من موقف تجاه القضايا الدنيوية والدينية معا، يحاول الباحث العربي دائما وبدون استثناء ان يظهر الشخصية المبحوث عنها وكأنها فرد اعتيادي لابد له لغيري اذ يتناول اية ناحية من تلك النواحي المتعددة – ان اقرن هذه الذكريات بلمحات خاطفة عن الشاعر وعن مرحلته وعن بعض خصائصه الفنية والفكرية والحيوية، ذلك لما بين هذه اللمحات وهذه الذكريات من ترابط وتلاحم.

وقبل هذا كله يجب الاشارة الى ان اسلوبنا نحن الادباء العرب بل نحن الادباء الشرقيين في التحدث عن حياة من نعني بالتحدث عن حيواتهم من الرجال البارزين في مجالات الفكر او الادب او السياسة او الوطنية ليختلف كل الاختلاف عن الاساليب المتبعة لدى غيرنا من ادباء العالم المنطلقين في هذا المجال بالذات.

فحتى الان وقد تطور العالم كثيرا في اساليب البحث عن الحقائق والحيوات والحوادث والاشخاص ما نزال نرى في إحياء ذكريات الاعلام عندنا مجرد التنويه بمحاسنهم ومحض التستر على عيوبهم وحتى على ملامحهم الخاصة بهم وسماتهم المميزة إياهم اذا كانت هذه الملامح والسمات تخالف امثالها ونظائرها المتعارف عليها لدى السواد والعامة، ومن نقطة الضعف هذه في البحث عندنا كانت اكثر المؤلفات التي الفت عن حياة هذا الشاعر العربي المعاصر او ذاك خالية من كل ما يشبع فضول القارئ، وما يروى غلته في التعرف الى ملامح هذا الشاعر المحبب إليه او غيره التي يخالف بها الاخرين، والى السمات التي تميزه عن غيره من السواد المألوف، والى مبادئه التي يكون عليها في بيته، او في مجلسه، او في ساعات سمره، او اوقات فراغه، ثم الى مدى بساطته في تناول امور الحياة، ومدى خروجه الى المألوف المعتاد منها، وعلى السفساف المتهافت من العادات والتقاليد، ومدى جرأته على شجب هذا وذاك، وعلى الجهر بما يشجب منها، وعلى اذاعته ما يعتقد وما يرتئي من ذلك في محيط اوسع، وفي دائرة اكثر شمولا، وعلى مدى استعداده لدفع الثمن المطلوب من كل من هو على هذه الشاكلة من المفكرين الاحرار، ثم على مدى تورطه هو في هوات المجتمع السحيقة.

ترى اين كان يكون بحث كهذا عن حياة الرصافي او الكاظمي او الحبوبي الكبير رحمهم الله من مجرد بحث متزمت خائف محافظ بل مبتور ايضا في الاتجاه السياسي للشاعر؟ وماذا كان له من موقف واخر تجاه السلطة الحاكمة، او تجاه الملوك والامراء الحاكمين؟ او بحث اكثر تزمتا وخوفا وعصره وخصائصه، ومع اقرانه من ابناء امته وعصره ومجتمعه، الى غير ذلك من موازنات لايتقيد فيها الباحث سلفا بخلع اية صورة متعمدة للشاعر او المفكر، ولكن بابراز صورته الحية الصادقة بكل محاسنها وبكل عيوبها، وبكل تناقضاتها، وبكل مبادئها ايضا.

على ضوء من هذه الملاحظات تخطر ببالي فكرة بسيطة، ترى لو عنيت وحدى او بالتعاون مع غيري من الادباء بوضع كتاب عن الزهاوي رحمه الله فيما اذا كنا نعنى اكثر من موضوعات هذا الكتاب، لاشك اننا كنا نهتم اكثر من لك شيء وباستنباط الفكر الكامنة غير المنطلقة من قصائد الزهاوي، ومن بحوثه، اعني تلكم الفكر التي كان المجتمع السائد في العراق حيث درج الزهاوي وشب، وحيث توفي ودفن، يخنق الكثير منها او يلقي عليها حجابا، او يقص كثيرا او قليلا من اجنحتها، من خوافيها ومن قوادمها، وماذا كان من اثر المجتمع العثماني في عاصمة الخلافة انذاك "الاستانة" حيث سلخ الزهاوي رحمه الله الذروة من ريعان شبابه وطرفا من كهولته في انضاج هذه الفكرة او تلك، او في تشذيب اطرافها، او في خلق فكرة جديدة، تامة او ناقصة، وبعبارة اوفى لكنا نفتش عن الزهاوي الاخر المخنوق هو نفسه بالمجتمع والبيئة والنظام الحكمي او الديني او الاجتماعي، ثم بالنشاة الخاصة التي نشأها والفها وما فرض عليه بحكم من سلطانها النقيد بقيودها الابوية والعائلية والاقليمية قبل ان يفرض عليه الصراع العنيف مع نفسه الحرة الوثابة مع فكرة المنطلق العميق تارة لحد الاغراق في العمق، والبسيط تارة لحد الاشراق والاغراق ايضا، الصراع العنيف معها في معركة لايعرف خطوتها إلا المفكرين الافذاذ الذين ينوءون باوزار مجتمعات وبيئات ووراثات لم يخلقوا الا لنسفها والاطاحة بها واعتاق اكتاف الجماهير من اوزارها.

ولكان في المقدمة من مواضع هذا الكتاب – من فهرسته – صور كثيرة لصراع السيد الزهاوي الفقيد الجليل في هذه المجالات، قد يكون ادقها والطفها تلك التي كان يعمد فيها الى استغلال ما لايد له فيه من بعض الحصانات الاجتماعية والامتيازات العائلية، والمراكز الدينية، التي وجد نفسه محوطا بها ليحيلها الى مراكز انطلاقات كثيرة، حتى تلك التي افاد منها الزهاوي رحمه الله في تطعين حياة شبه هائئة لينة له ولمن معه – ولم يكن معه لحسن الحظ المضاعف الا عقيلته الجليلة التي توفيت اخيرا، والا خادمه الخاص وخادمها.

لقد استغل رحمه الله مركز عائلته الكريمة الديني المرموق، ومركز والده بالذات احسن استغلال وانفعه واحقه ايضا فيما تحصن به لتسريب افكار جريئة في مجالات الدين والدنيا والاخرة والجنة والنار، كانت افكار اقل جرأة منها لاتعفي الرصافي رحمه الله من تبعات ثقال فيما تقيمه عليه من قيامة الزجعيين والمضللين والمتاجرين بالدين وبالدنيا وبالاخرة وبالجنة والنار، لفارق واحد هو أن الفقيد الرصافي لم يكن له ما كان للفقيد الزهاوي من ترس درع موروث يدفع عنه ويحميه، ولقد استغل مركز عائلته الادبي والاجتماعي اطيب استغلال واصدقه لاحلال نفسه الفاضلة محلها اللائق بها من مظاهر الحياة الدنيا، في مجتمع لايرحم الكفاءات الممتازة وحدها، ولا العبقرية لذاتها، فكيف بها اذا كانت جريئة في الحق وعلى الباطل، ثائرة على الفساد والفاسد، خارجة على التقاليد الجاهلية والعنعنات القبلية، والعصبيات الكليبية، كافرة بالاثنانيات والفرديات، ساخرة بالمقاييس الباطلة والموازين المختلة.

ومع هذا كله، وتبعا لسنة العباقرة الاحرار، هناك ناحية مظلومة من نواحي الفقيد الزهاوي المظلومات، هي صرخة الالم الدفين والنفثات الحرى في الكثير من قصائده ان لم اقل في اكثرها، لقد كان المثل الاعلى لما يجب ان يكون عليه الفرد والجماعة والمجتمع والحياة كلها في كل مجالاتها ينغص عليه – سنة كل عبقري – كل ومضات الحياة الرغيدة في مظاهرها.

اذا كتب عن الفقيد الزهاوي ففي المقدمة من هذه الموضوعات المفترضة من حياته وفكره وشعره يجيء موضوع عقيدته، وهي اهم موضوع تتبين منه شخصية العبقري شاعرا كان ام كاتبا ام فيلسوفا، في كل محيط متخلف في مضامير الحريات الفكرية والعقائدية.

كل علمي واقولها على مسؤوليتي الخاصة – ان مضمار رحمه الله مركز عائلته الكريمة لم يعتقد ابدا بالمغيبات.. بكل المغيبات. لم يجر لي معه ويا للاسف حديث عميق صريح بهذا الصدد، ولو ان حديثا كهذا جرى لما كان الزهاوي رحمه الله ليبخل علي بالجواب الصريح عليه ابدا، غير اني اكاد اجزم بما قلت وارتأيت، معتمدا في ذلك على شخصية الزهاوي نفسه، وعلى مختلف احاديثه العامة والخاصة، وعلى ومضات دفينة من نثره ومن شعره، غير تلك الومضات التي كان يتناول بها فروع الدين ومظاهره وما حرف المحرفون من تعاليمه، اعني تلك التي كان يبدو فيها وكأنه مصلح ديني لا اكثر، وان كانت في حينها تشغل حيزا كبيرا من اذهان الناس واحاديثهم واسارهم، وحيزا كبيرا ايضا من الصحف في معرض الانتصارات للشاعر او الغارات عليه.

لقد حدثني الشيخ الزهاوي وهو يردد من قصيدتي "جريبني" التي نشرت عام ١٩٢٨ او عام ١٩٢٩ البيت القائل:

عن يساري اعمى المعرة
والشيخ الزهاوي مقعد عن يميني

حدثني وهو يردد هذا البيت ويعجبه انه كان فيه مقعدا او شيخا وفي الجحيم ايضا – عن كثير من مبادئه ايام صباه، وعن كثير من النوادر الطريفة التي رافقت

مراسم تشييع الزهاوي

هذه ذكرى من ذكرياتي مع نفسي، قبل ان تكون لي ذكريات مع الزهاوي وقياسا على ماعرفته بعد ذلك ببضع سنوات عندما انتقلت الى بغداد، وعلى ما تاكدت منه علما وتيقينا من المناورات والمؤامرات والدسائس التي لم يسلم منها كل لامع، والتي كان المقربون الأولون حول الملك يحيكونها كل صباح وكل مساء، فلا بد ان يكون للزهاوي رحمه الله منها حصة الاسد من كيد الثعالب، ولا بد أن يكون القسم الاوفر من خياله الخصب عن العهد الجديد قد تبخر، ذلك انني بحكم عجيب غريب من الاقدار، وبعد ان انتقلت الى بغداد اواخر عام ١٩٢٦ لمهنة التدريس، وبعد ان ولجت عتبة التاريخ العراقي الحديث برغم انفي وبمؤامرات خسيسة من المسيطرين الاجانب على وزارة المعارف، وجدتني بحكم من هذا، وبدفعة من دفعات القدر محمولا على جناح البرق الخاطف الى مكان مرموق في ظاهره، ممجوج في مخابره، الى مقر لم يخلق لي، ولم اخلق له، ولم يكن على وجه الكرة الارضية كلها مكان أكثر منه تناقضا مع نفسيتي ومزاجي وانطلاقتي الفكرية، هو بلاط الملك فيصل الاول نفسه.

في هذا المكان – ولم اتجاوز السادسة والعشرين من عمري انذاك تعرفت الى أمور وامور، وحقائق وحقائق، واشخاص واشخاص، واساليب وأساليب، هي وإن كانت في الحقيقة والواقع فوق ما يستطيع ان يتعرف عليه شاب منطو على نفسه، كان يعيش في بقعة جرداء إلا من درس وتدريس، وسهر متواصل على الكتب والدواوين... إلا انها مع ذلك، ومع كل سيئات المظاهر والمخابر فيها كانت ذات فائدة مهمة لي في اكثر من ناحية واحدة، وكان في المقدمة من فوائدها: تعرفي الى الكثيرين من اعلام السياسة المزيفة ومن اعلام الناس الطيبين ايضا، ومن اعلام الشعر والادب الذين يستحقون هذا الوصف، ولم يكن عندي من يستحقه قدر الزهاوي والرصافي. وهناك تعرفت

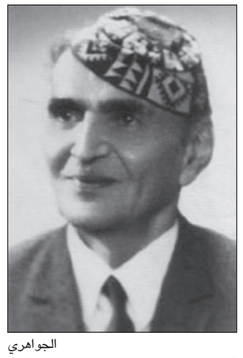

الجواهري

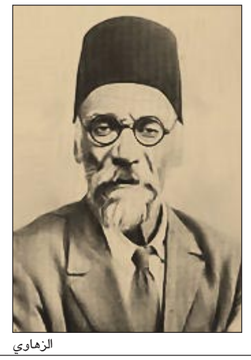

الزهاوي

عمته وهو في الاستانة، حيث كانت هذه العمة تضايقه كثيرا في مجالات السمر والسهر والخلوات، وحيث كان يكفر بكل من لبسها .. كان كفره بما تستلزمه هذه القماشة الملفوفة من التزامات بينها وبين نفسية كنفسيته وعقلية كعقليته بعد ما بين الاستانة وبغداد على ظهور الخيل والبغال والحمير.. حدثني بكل هذا حديثا عذبا حرا منطلقا اقدر ان استشف منه ما اشاء، وان استنبط ما اشاء، ولكني لم ابدأه الحديث الصريح عن مدى ما تنطوي عليه ثورته على الجحيم مثلا، او على الجنة، او على القضاء والقدر من عمق حتى الاصول والاسس، ومن غور الى جذور الدين.. ومن هذا، وكما قلت قبلا وعلى مسؤوليتي ان الفقيد الزهاوي كان اكثر من مصلح ديني بل ومن تاثر ايضا. لقد كان ناسفا يجرب معاوله الهدامة في السطوح ظاهرا ، كما يجرب بها ضربته القاطعة على ما تحتها.

اول ما عرفت الزهاوي – كأول ما عرفه به كل اديب او شاعر ناشيء – كان عن طريق الصحف والمجلات السيارة انذاك، وكنت ابن اثنتي عشرة سنة تقريبا، وانا في النجف، وكانت الصحف والمجلات العربي قتصل كلها الى بيتنا حتى تلك التي تصدر في الاستانة، وبحكم من الامانة الادبية ارى لزاما علي ان اقول: ان ما كنا نتلقفه نحن الشباب الناشيء يومذاك من هذه الصحف هو شعر الرصافي اذ كان قليل من شعر الزهاوي ينشر فيها، واعتقد ان مرد ذلك ان لم يخطيء الظن هو ان اتجاه الرصافي السياسي، وهو في الاستانة، واحتضان زمرة من الساسة العرب او من محترفي السياسة بتغيير ادق للرصافي، وانصراف الزهاوي رحمه الله الى ميادين فكرية اخرى – كان السبب في ذلك، ثم مرت الايام وابتدأت الثورة العراقية، وسمعنا وتلقفنا بلهفة قصيدة السيد الزهاوي – وكان في العراق اذ ان الرصافي خارجه – عن ابطال الرميثة ، وهنا تنعكس الاية، فلا نسمع للرصافي إلا القليل إذ نحن نسمع للزهاوي كل يوم على وجه التقريب قصيدة او قطعة او رباعية على الاقل.

ثم يدبر امر الحكم الملكي، ويحل الملك فيصل الاول ربوع العراق، ويلتف هو حول اللامعة اسماؤهم في مضامير الدعاية للحكم الوطني، ومعناه المباشرة لحكمه، سواء في مضمار السياسة ام الصحافة ام الشعر والادب، وحتى في مضمار التهريج الفارغ، والمظاهر الكاذبة، قدر ما يتسابق هؤلاء كلهم من صادقين وكاذبين الى الالتفاف حوله.

ويكون النجم الادبي الاول اللامع في الجو الجديد هو السيد الزهاوي الفقيد والحكم في مظاهره (وطني)، والملك عربي، والعراق كل يوم بلعبة يتسلى، مهرجان اتى واخر ولى، وكل قصيدة تقال في الملك الجديد تلقفها ايدي الالوف البريئة المخلصة لوطنها، وكأنها قطعة موسيقية في تمجيد هذا الوطن، المخلص لوطنه كثيرا، ولنفسه ايضا، لاتفوته هذه الفرصة الجميلة السانحة التي تجمع له ان تتجاوب النفوس بشعره، وان يلمع نجمه اكثر مما مضى في حياته السابقة بكثير، ثم ان تتجاوب ارجاء البلاط الجديد بقصائده، وحتى الان ونحن في العام الحادي والستين من القرن العشرين، وبعد اربعين عاما فاننا نعد من المطالع الجميلة في الشعر العربي الحديث مطلع قصيدته رحمه الله ، التي يحيى بها العلم العراق الجديد، وهو يرفع على صاريته لاول مرة:

عش هكذا في علو أيها العلم
فاننا بك بعد الله نعتصم

بشاغل المحافل والنوادي والصحف: الشيخ الزهاوي وهناك رأيت وجهه الجميل الفني المحبب، بل هناك تعرفت الى اشياء كثيرة عنها كلها على غرابتها تزيد من اعجابي بهما، الى اشياء هي في اسفارها وروايتها والوثوق بصحتها فوق رواية الراويين، وفوق سماع عن سماع. انها مرأى العين، وثبت الملفات، وتدوين الارقام والتواريخ، وانها لتحلى بخط يد الشاعرين بعض الاحيان انها على غرابتها لتزيدني اعجابا بهما، الى شيء آخر هو انها فيما اسفرت عنه لتزيدني احتقارا لمن يكون رهن ايديهم مصائر العباقرة، فلا يحسنون التصرف بها. كان ذلك قبل ان يضع الرصافي رجله في بلاط فيصل الاول مخاصما تارة، ومتفاهما أخرى، وناقضا ما تفاهما عليه مرة ثالثة، وقبل ان التقي به هناك للمرة الاولى كما اتذكر، وان كنت قد رأيته فان ذكرياتي عنه لتختلف عن ذكرياتي عن الزهاوي، فقد لا ابيح لنفسي الان ان اذكر شيئا عنها اي عن ذكرياتي عن الرصافي، ولكنها مع ذلك تزيد من حبي له.

عجيب امر القلوب الشاغرة الصافية.. امس احصيت مع نفسي اول ذكر جاء للفقيد الزهاوي على لساني شعرا فوجدته كما يأتي:

قسم يا جميل
يا حامي الادب العراقي
يامن بشعرك ضلت
الاقوام ان الشعب راقي

وكان ذلك كما اتذكر عام ١٩٢٧، وانا في وظيفتي الجديدة المشار اليها آنفا.. ومن قصيدة مطلعها:

نادمت خلان الأسى
مل اصطباحي من دنان
وأخرها كان على قبره:
على رغم انف الموت ذكرك خالد
ترن بسمع الدهر منك القصائد

اذن فقد مات الزهاوي وهو راض عني.. ولو لم يكن كذلك لما رثيته.. وغابت الذكرى عن بالي.. ذكرى زوال ما كان في نفسه من غضب على، ثم عادت فجأة وكأنها ذكرى امس الاول، لقد كانت حفلة شاي اقامها المرحوم السيد رفائيل بطي في بيته في شارع "الزهاوي" تكريما للفقيدين المازني واسعد داغر وكنت من جملة صفوة مدعوة من رجال الشعر، منهم احياء معدودون حتى الان، ويا لفرحتي الشديدة حين يدخل الزهاوي باسما مرحا فيصافح الجميع، ويشد بيديه بحرارة الشباب على يدي هاشا باشا متفقدا.. اتصدقون ان تلك الليلة كانت آخر قطرة في زيت السراج الوضاء.. لقد نعي الزهاوي رحمه الله في صباحها.

×××

دامت صلاتي بالفقيد الزهاوي اكثر من ثلاث سنوات كان عندي في كل يوم منها شيء جديد افيده ، والذه ، واغربه.. كنت لا اغيب عنه يوما واحدا إلا بتقديم براهين قوية على سبب تغيبي كانت بادئ الامر مواعيد لقاء في مقهاه المفضل، مقهى "رشيد" حيث يقع محل السيد ناجي جواد الساعاتي الان، مطلا على دجلة.. ملتقى للشباب الصاعد، مشرقا قبل الشمس ببسمات "رشيد" صاحبه الطلقة، وببغداديته الاصيلة المحببة، ورأى الفقيد الزهاوي ان في هذه المواعيد تضييعا لدقائق لا تصل حد الساعات فيما يكون بيني وبينه من تخلف، فاخترع طريقة اضمن لكسب الوقت ما كان لمثلي ان يرفضها، هو ان اتي – وكان بيتي حينذاك في الكاظمية – اليه وهو في بيته الجميل اعوج تحت الطاق، مهونا على ذلك بانه في طريقي.. وكان ما اراد، وكان ما اريد ايضا.. كنت اطرق الباب

فاسمع عقيلته الكريمة الجليلة تقول قبل ان تسمع لي ركزاً: انه الجواهري، ويفتح لي خادمه الذي عجبت كيف نسيت اسمه الان لشدة ما كان يعلق اسمه بذاكرتي.. الباب، ويصعدني الى غرفته الخاصة التي لا يدخلها من غير عائلته احد غيري، وسرعان ما يدلف بعد مصافحتي الى غرفة لاصقة بها، حيث العقلية التي كانت تلزم نفسها بالباسه ملابسه بيديها، ثم تحضر العربة الى باب البيت، ويجلس خادمه بجانب السائق، واجلس انا الى جانبه، ويصل اناتول فرانس الى مغنى سعيد، وخذ وهات مما يتحدث به الركبان من نكات الفقيد الزهاوي، ومن انطلاقاته، ومن القائه التمثيلي المطرب، ومن تشهيراته اللذيذة بخصومه ونقاده ومنافسيه، ومن كان ينافس الزهاوي غير واحد في بغداد، وفي العراق، في العالم العربي غير الرصافي !! قلت العالم العربي، وكلكم يعرف ان الزهاوي اقتحم هذا العالم بعنف وقوة لم يقدر الرصافي رحمه الله ان يزاحمه بهما.

يالله!! ما افظع نكته العامية الشهيرة عندما يفتش جاهدا عن بيت فيه زحاف للرصافي، اي عن بيت واقف او شبه واقف، ويحتاج الى تمشية، كانت نكتته محتملة على فظاعتها، كان يلقيها ويمثل لها برفع يده العريضة الى فمه ثم يدفع بها في الهواء.

حسن، هل تريدون نموذجا لعبقرية الزهاوي المتأثرة في هذا المقهى اكثر من ذلك؟ اليكم هذا النموذج: تصوروه وكانه بينكم الان او في حلقة مصغرة من هذا الاجتماع.. تقرب اليكم صورة المقهى ورواده، تصوروره وهو ابن السبعين تقريبا عام ١٩٣١، بطلعته البهية، وشعره المرسل، وعينيه النفاذتين كعيني الصقر، وشهرته الواسعة، ومكانته الكبيرة، تصوروه وهو يتلقى فيمن يتلقى من رواد مجلسه اناسا لا يحبونه ولا يحبهم، او اناسا كانوا يحبونه لم انقلبوا عليه، او اناسا كان يحبهم ثم انقلب عليهم.. اتعلمون بماذا كان ينتقم منهم انتقاما لا اعرف له مثيلا؟؟.. كان ينادي بهذه الكلمة: "يا ولد" وهو يريد الندل.. تعال "اخذ فلوسك".. ويسرع الندل، وكان الحساب "بالانات" الهندية انذاك، فيعد الجالسين واحدا واحدا ليدفع عنهم "آنة آنة" مستثنيا بذلك "انا وانت" وفلانا ممن يكرههم.. بضع ذلك بتحد يبين في ومضات عينيه، وفي خلجات وجهه، ولا يقدر احد من هؤلاء المساكين ان يعترض، وكيف يعترض؟ ولماذا يعترض؟ انه رجل يدفع حسابه، ويا لفظاعة المنظر اذ يدخل كل منهم يده الى جيبه ليدفع هو عن نفسه..

كذب ان يكون الشاعر شاعرا، والعبقري عبقريا، دون ان يكون له من هذه النظائر ما يميزه عن سواه من الناس.

××

قال لي مرة: يا بن الجواهري استخرج غدا الى "الكاورية"، ويصنع لنا سمك مسقوف ناخذه معنا، ولم تكن "الكاورية" انذاك على استعداد كامل لضيوفها، وسناخذ معنا (سماورا) صغيرا للشاي، وحل الموعد، وانحدرنا بزورق اعد لنا، وعرجنا في طريقنا على السماكة وقد هيء لنا عشاءنا، وانتصب سماور الشاي الجميل، وكان فراشنا الرمل الاحمر الطري، ومممدت المائدة، ويا للقلق اذ اكتشفنا ان ليس معنا ملح، والاكلة سمك لا غيره.. اتدرون ماذا دبر السيد الزهاوي رحمه الله ؟؟ لقد امر خادمه ان يجمع له مما في الزورق او مما على الارض من اخشاب خفيفة، او اعشاب، وان يحرقها، والى هنا وانا لا افهم ماذا يريد الاستاذ.. وصنع الخادم ما اراد السيد، فكانت كومة من رماد محروق طري، وسرعان ما نهض السيد الزهاوي فجمعها، وابتدأ يذرها على السمك، وهو يتمتم، ولحيته الكرمية تخفق: هذا ملح صحي، انه يا ولدي صحي، ونافع، وفيه ملوحة نقية، غير ضارة.

.. صدقوني: الى الان وان احب ان اعاود هذا الملح العجيب لمجرد هذه الذكرى.

×××

وتآمر الدساسون المقربون لدى بلاط فيصل الاول على الزهاوي الوديع الحر المفخرة، ليحرموه من كرسي في مجلس الاعيان، كان هو الكرسي الوحيد الذي يفخر به هذا المجلس، لانه رمز وجود حياة للفكر وللشعر، وللعبقرية، كان ذلك عام ١٩٣٠ او ١٩٣١ لا اتذكر بالضبط، وعند انتخاب نصفي لاعضاء المجلس ، وتمت المؤامرة ، واحضرت "دعبلات" سميت كرات بيضاء وسودا، ترمى في صندوق يهيأ ليقال إن ذلك اقتراع، ورميت هذه "الدعبلات" في الصندوق، ولفرط الحرية في الانتخاب لم يكن فيمن نجح واحد ممن لم يعين سلفا، ولا فيمن فشل واحد ممن لم يحذف سلفا، فكان مفخرة العراق الاول في كل الاقطار السيد الزهاوي ممن شملتهم هذه الحرية بالحذف وبالفشل.

وتشاء المصادفات السيئة ان يكون بيدي عدد خاص لجريدة العراق مقفل الصفحات، قد اتيت به وانا في طريقي الى بيت الشيخ الزهاوي رحمه الله، ويكمل الزهاوي ملابسه، ويهم بالخروج

ويرى الجريدة في يدي فيسألني عما فيها، فاخبره انا لم تفتح بعد، ثم افتحها محاولا قراءة اهم ما فيها، فيكون في اول اخبارها المحلية: انتخابات مجلس الاعيان المزعومة والمزعومة، واسماء الفائزين، وليس الزهاوي بينهم.. لاشك ان الزهاوي كان على اتم علم بحقيقة الامر، قبل مدة، ومدة مديدة ايضا، ومع هذا كله فماذا رأيت؟

انصت الشيخ الجليل بصمت والم، وبشيء من الانكسار الى الاسم تلو الاسم، ثم امال عني بوجهه قليلا ميلانا لم يقدر ان يمنعني من رؤية دمعة كبيرة حارة تدحرج على وجهه الكريم.

اتحاد الادباء يستعد لاقامة مهرجان خاص بذكرى مرور ربع قرن على وفاة الشاعر الفيلسوف النابه الذكر السيد جميل صدقي الزهاوي، وما ابدع الفكرة التي تبناها الاتحاد فالزهاوي الفقيد مظلوم في تناسي الناس ذكراه وذكرياته.

ان الزهاوي يكاد ان يكون فذا بين الرعيل الاول من شعراء العراق المتوفين في خصوبة حياته الفكرية والشخصية والشعري. ونقول خصوبة ونريد بها وفرة الانتاج فحسب، فقد يطول الحديث عن مدى تمكن الجودة والابداع في هذه الوفرة ، ان شيئا واحدا لا يقدر على نكرانه احد ممن عرف الفقيد الزهاوي واتصل به وتتبع اثاره ما سما منها وما لم يسم هو ان كان عميق الفكرة غاية العمق، حر التفكير غاية الحرية ثائرا على كل عتيق ابعد حدود الثورة.

وشيء آخر لا يقل عن هذا الشيء روعة وجمالا هو ان الفقيد الزهاوي كان فذا بين كل شعراء العراق – ونقول هنا من مات منهم ومن عاش – في لطف الافاضة عن نفسه، عن عواطفه المتضاربة، وعن خوالج نفسه المضطربة.

كان الزهاوي عظيما كل العظمة اذ يبدو وهو ابن السبعين فيما يفرح، وفيما يتألم وفيما يجيش، وفيما يثور، وفيما يتطامن وكأنه طفل ابن العاشرة من عمره، وطفل نابغ، ولعوب، ومتوقد، وبريء كذلك.

يا لله، كم كان الزهاوي وهو على ابواب الموت يخاف الموت، ويا لله كم كان وهو يقرب من بطن الارض يذوب شوقا وتعلقا الى ظهرها وصدرها.

ي لله كم كان الزهاوي سريع الدمعة فيما يصدمه من عنت الحياة، وكم كان هتوف الضحكة فيما يفرحه من ساعات صفائها.

يا لله كم كان الزهاوي فقط اللسان فيمن يخصم، كثير الامثال الشعبية اللاذعة القاسية فيما يضربه منها وهو يختصر تاريخ خصومه.

يا لله كم كان جميلا وعظيما وهو "يمثل" او "يقلد" متهكما على افعال خصومه، او اثارهم او حركاتهم بحركات تمثيلية تقيمه وتقعده، وتدفعه بعيدا عن كرسيه في وسط المقهى الحاشد، وبمرأى ومسمع واعجاب الجمع الحاشد ايضا.

شخصية فدة ساحرة ساخرة تنسجم كل الانسجام مع شعر الزهاوي وآثاره المتحررة فتزيدها جمالا واهمية وخلوداً.

لابد ان اختزل التاريخ كثيرا لاصل الى النكتة التي اريد ان اوردها هنا وانا بصدد معاودة الحديث عن الفقيد العزيز الزهاوي.

كان ذلك عام ٩٣١ او ٩٣٢ عندما كتبت التوقيع نفسه "طرفه" مقالين متتابعين بجريدة العراق عنوانهما، الشعراء المتقاعدون.. ! أو – الرصافي والزهاوي في الميزان.. كان المقالان على جانب من لذاعة النقد، ونزاهة الاسلوب.. وما كانت هذه النزاهة لتشفع عند الزهاوي بخاصة رحمه الله في لذاعة التعديل وحتى في مجرد النقد، وقد لا يقل الرصافي رحمه الله عن الزهاوي في برمه بان ينقد..!

وكان المقالان يستعرضان سقطات الرصافي والزهاوي فيما جاء لهما من شعر يمكن تخريجه على معنى شيء هو المعنى الذي كانا يقصدان اليه.. مما يطول الاستشهاد به الان.

و"تحلف" الزهاوي رحمه الله بي.. واستشاط غضبا.. واوسعني نقدا وتجريحا.. وألب علي كتابا كثيرين ينقدوني .. بقساوة..

ومرت سنتان واكثر. وتذكرت بحنان ورقة عهودا لذيذة تقضت صحبة السيد الزهاوي، وتعطرت بلطف احاديثه، وحلاوة نكاته، وبداعة تصويره.. وقلت – والله لا تقحمن عرين الاسد اعزلا – ووجدتني مندفعا الى مقهى رشيد حيث يقع اليوم محل السيد ناجي جواد الساعاتي والمحلات المجاورة له.. وكان يطل على دجلة..

كان الفقيد الزهاوي رحمه الله يتوسط الدارة بين رائدين من رواد مجلسه هما اديبان معروفان توفي احدهما، وامد الله في عمر الثاني منهما.

واشد ما كانت خيبتي وانا اصطدم بنظرات الزهاوي الساخطة المخيفة.

وبوجهه المتهجم علي حتى بعد مرور زمن طويل على ما كان بيننا.

وانعكست "ثقالتي" على الزهاوي على الاديبين.. ولم يكن ذلك لمجرد استجابة منهما لغضب الزهاوي.. ولكن بسبب منه وبسبب آخر هو عدم التجاوب النفسي بيني وبينهما.

لم يرحب بي الزهاوي.. وقد يكون "مساني بالخير" مرغما.. وبدرجة مقاربة كان ترحيب الاديبين بي.. فعقدت عليه وعليهما، وظللت اتربص ساعة الانتقام السريع، وحانت الساعة:

فبعد سكون ثقيل متكلف اعتقد ان وجودي المباغث كان شيئا مباشرا له، انبى الاديب الحي – وكان الوقت اصيلا – يستشهد على روعة الاصيل على دجلة بيت شعر وانا والزهاوي والاديب العراقي نفسه تعرف انه للزهاوي.. على الرغم من ان "الاديب العراقي" لم ينسب البيت.. ومعنى ذلك اجلالا للزهاوي، واقامة ما يتلى من شعره مقام الامثال المعروفة، وكان البيت كما اتذكر:

ان للشمس ان يحين الغروب
انرى روع الغزالة ذيب..؟

واهتز الزهاوي رحمه الله.. وبان السرور على عينيه الواسعتين ، وامن الاديب المتوفي على روعة البيت بحركة، وبهزة رأس، وبابتسامة.

وسرعان ما وجدتني اتلقف الفريسة السانحة.. قلت:

يا .. لمن هذا البيت الركيك..! وتصور ما يبعثه هذا السؤال الخبيث في نفس الزهاوي..

وتلفت "..." الي وهو بين مترفق.. وبين متظاهر بالاستغراب.. وتلفت الاديب المتوفي وهو نفسه ايضا كما اعتقد يعرف ان البيت من شعر الزهاوي.. تلفت قلقاً..

وكل هذا كان شيئا هينا لما اتوقع.. وحدث ما اتوقع.

انقض علي "الزهاوي" الجليل.. وكأنه الاسد الجائع.. وطفر مسافة مترين من كرسيه الى كرسي.. ومد اصابعه الطويلة حتى لكادت تفقا عيني.. ثم صرخ بي صرخة ذاعرة..

هـه.. انه – لاحد "الشعراء المتقاعدين..!"

هل فهمت.. يا رجل .. لم يزد عليهما.. ولم يقل كلمة هجراً..

وتاثرت كثيرا لتأثره.. ومع هذا كله فلم ارد التراجع..

وقلت:

لعنة الله عليك يا صديقي "...!" لماذا لم تقل انه لاستاذنا الزهاوي..!!

ومع هذا يا استاذي الزهاوي.. فانه ركيك..!! وامعنت في الايذاء بان اوضحت له لماذا هو ركيك..

×××

في هذا الحقل وفي معرض تسجيل ذكرى اليمة من ذكرياتي مع الفقيد الزهاوي عرفت قبل ايام صورة "اصيل لاينسى"..! مع السيد الزهاوي رحمه الله في مجلسه الاثير لديه "في مقهى رشيد" استثارني فيه الفقيد واستثرته ووكان موضوع الاستثارة ومحمولها وكل عناصرها الشعر والادب والنقد النزيه المجرد عن كل مساس بالكرامة.

وفي هذا الحقل اود ان اعرض باختصار صورة ضاحكة عن "اصيل اخر لاينسى" ابدا ومن ناحية معاكسة.

كان ذلك في يوم من سلسلة الايام المتلاحقة من ذخيرة سنين عديدة كلها كانت ضاحكة، بريئة ، مع السيد الزهاوي.. ومع غير الزهاوي..!! ولكن مع السيد الزهاوي بصورة اخص، وكانت كلها ايضا ذات اصائل جميلة، رفرافة بالعاصفة والحب والذوق والطلاقة والانسجام.

مات الزهاوى

فجع للعراق بل العالم العربي كله باديب من اكبر ادباء العربية وشاعر من اعظم شعرائها وفيلسوف نسج في شعره على منوال ابي العلاء والمتنبي وغيرهما من فلاسفة العرب • وكانت له في حياته

مواقف مشهودة لا تزال حديث الناس في اندية السياسة واندية العلم والادب
مات المرحوم جميل صدقى الزهاوى شاعر العراق وفيلسوفها وصاحب القصائد الرنانة التى كانت فى بعض الحالات والمواقف العصيبة تدوى فى افق الادب وافق السياسة معا
والعراق غنية بشعرائها وادبائها ولكن المرحوم الزهاوى كان مميزا باسلوبه الشعرى ومذهبه الفلسفى فيه واقتران شعره بكثير من مذاهب البديع وغرابة النكتة • كما كان ممتازا بالجرأة والاقدام وسرعة الخاطر وظرف المعشر • توفاه الله فى اواخر العقد السابع من عمره بسكتة قلبية محتفظا بحيوية نادرة على رغم شيخوخته والامراض التى تراكمت عليه
وقد ولد الفقيد فى بغداد فى بيت علم وعقل وانتخب نائبا فى مجلس النواب العثمانى ثم عين عضوا فى مجلس الشيوخ العراقى • تغمده الله برحمته والهم الامة العربية الصبر على فقده

آخر صورة للمرحوم جميل صدقى الزهاوى شاعر العراق وهو يرى فى الوسط والى يمينه الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى [...] بطى والى يساره الاستاذ اسعد داغر وسعيد الحاج ثابت [...] الدكتور سيف الدين بستانى وحامد الوادى باشا والاستاذ يوسف بحرى

كان مقهى رشيد موعدنا عصرا
وكنا من سابق اجلاسه
مجلس زانه الشباب واخلى
"للزهاوي" صدره والرئاسة

كان هذا الاصيل من اصائل الصيف.. وفي عام ١٩٢٩ – وتاريخ نشر قصيدة النزغة يحدد ذلك بالضبط – وكنت انذاك ابن السادسة والعشرين او السابعة والعشرين وكان الشيخ الجليل الزهاوي قد تجاوز السبعين.

انني لن انسى (ساعة) الزهاوي الحبيبة الفضية ابدا.. لا انساها حتى بدون هذه الذكرى في هذا الاصيل الحبيب.. لا انساها لكثرة ما كان يخرجها من جيبه وعيونه النفاذة تخيفني.. ووداعة الانكسار تبين على وجهه المحبب ولطف الميلان برأسه وبذقنه يزيده روعة.. كان يفعل ذلك وهو يحدج من مجلسه ليتلقاني عاقباً وليريني وهو يحمل ساعته بيده انني قد تخلفت عن الموعد خمسة دقائق مثلا.

ولكنني وفي صدد هذه الذكرى بالذات وهي هذا الاصيل نفسه فان "ساعة الزهاوي" لتعيد علي – الى جانب شمولها وشخوصها – اكثر من معنى عميق من معاني شخصية الزهاوي المتعددة، فبعد دقائق معدودات من حضوري وبسبب من تداعي افكار وحوادث ومناسبات ابتدأ الحديث عنها يدور بيني وبينه اخذ الزهاوي رحمه الله يحدثني وهو يستعرض شيخوخته الراهنة عن مدى قوته التي كان عليها وهو في ريعان الشباب.

وعن مدى سمعة كل لذاته واقرانه في كل مقاييس القوة والصحة وثبات القلب وحيويته، وكان من تلك المقاييس مدى صبر الفرد على الغوص في الماء وهو مبهور الانفاس مقطوعها. كان الزهاوي وهو يحدثني عن هذا كله وعن فوزه على اقرانه في طول المدة التي يغوص فيها اكثر منهم يحرك ساعته بصورة غير ارادية وكنت لا اعرف السبب في ذلك. وسرعان ما عرفت فقد التفت الي الزهاوي فجأة ليقول لي وقد قطع حديثه.

افندم نتراهن؟!

على اي شيء يا استاذ؟

– على ان اقطع نفسي وتقطع نفسك و(الساعة) حكم بيننا!

كنت بين الدهشة وبين الانبساط والفرج وكان المجلس في مقهى رشيد عامرا وكانت العيون كلها تشخص الينا بطبيعة الحال، وسرعان ما وجدتني وانا مغرور بشبابي وفتوني اقول للاستاذ الزهاوي:

حاضر استاذ.. بي راح اغلبك.

– تغلبني او اغلبك افندمٍ هذا ما يهم المهم انك لا تسرق ولا اسرق نفسا.

– قول شرف يا استاذ انني نفسا.

للقاري العراقي اليوم ان يتصور هذه الصورة تصورا عميقا الشيخ الزهاوي على وقاره وشيخوخته ومكانته، وكان انذاك عينا في مجلس الاعيان، وانا الشاب ابن السابعة والعشرين وفي مقهى حافل وعلى منضدة تتوسطنا قد وضعت ساعة مدورة غير صغيرة وكلانا يبدأ باشارة معينة ليقطع نفسه ويعيده حنينا الى صدره، للقاريء العراقي ان يتصور هذه الصورة الرائعة العميقة وتبرير مراميها الجميلة.. وتطلعت العيون كلها الينا. وحبست الانفاس وانتفخت الاوداج والعروق واحمرت الوجنات وجحظت العيون وابتدأت ثواني الساعة تتحرك بالدهشة.. ان الشاب ابن السابعة والعشرين بكل حيويته وقوة قلبه يستسلم صاغرا وياخذ النفس وهو يثب من على كرسيه ويقول يا استاذ كفاية.

لقد كسب الزهاوي ابن السبعين الرهان.

عن مجلة الاديب العراقي
العدد الثالث 1961

الرصافي وروسو في حياتهما الخاصة والعامة

عبد القادر البراك
صحفي عراقي رائد

ليس اشق علي من ان اختار جانبا من الجوانب المتعددة التي تتألف منها حياة الشاعر المناضل الخالد الرصافي لاتبسط في الحديث عنه بمناسبة الذكرى السنوية الثانية التي مرت على مبارحته هذا العالم الصاخب. للتناقض في كل ناحية من نواحيه الى العالم الاخر حيث يجد الراحة من اللغوب الذي عاناه، ويلتمس السلوى عن الاضطهاد الذي كابده.

وليس رد هذه المشقة الي ان المصادر التي تيسر لي الحديث عن الرصافي قليلة، ولا لاني من المسلمين بان التعويل على دراسة اثار الرصافي في الكتابة عنه ليس بذي جدوى، بل ان كثرة المصادر التي بين يدي نفسه، ووقوفي على كثير من حوادث الرصافي التي لم يكتب لها ان تدون واعجابي للتنامي به والذي زاد من شدته معرفتي الشخصية له. وملازمتي الطويلة لمجالسه، هي التي تذر فكري مرتبكا وتترك بياني الضئيل عاجزا عن ذلك لان الرصافي بالنسبة الي "كالغزالي" بالنسبة الى ذلك المستشرق الذي استقصى جميع آثار حجة الاسلام وجميع حوادثه، وتعرف على مختلف الاراء فيه واخرج كتابا مفصلا عنه استهله بكلمة قال فيها (الغزالي رجل لا ينتهي الحديث عنه)!!

اجل اني لاجد نفسي بمكان هذا المستشرق حين اهم بالتحدث عن الرصافي ولكن ذلك لن يصدني عن ان اكتب فيه بمناسبة ذكراه الغالية بعض الكلمات، لانه ليس مما يجعل ان تمر ذكرى هذا الشاعر المناضل – الذي افنى عمره واوقف جهوده التي كابد من جرائها شتى الوان الاضطهاد في سبيل خدمة امته – دون الوقوف منها موقف الاجلال والاكبار والاشادة والتبجيل.

وقد يبدو غريبا للقراء ان تكون ثمة صلة بين الفكر الفيلسوف (جان جاك روسو) والرصافي سيما وان الفرق بعيد بينهما من ناحية التفكير الذي كان يملأ رأس كل منهما، الا ان استغرابهم هذا سيزول اذا اكدت لهم ان حياة الرصافي في اكثر حوادثها قريبة الشبه من كثير من الحوادث التي تؤلف حياة كثير من عظماء الفكر والادب في التاريخ البعيد. وان اراءه وافكاره تتفق مع اراء كثير من ذوي الرأي والفكر ليس في بواعثها فحسب وانما في تشابهها، وان من اليسير على من لا يعرف اي جوانب الرصافي حرية بالدرس وقيمته بالتناول ان يرجع الى طريقة المقارنة والمشابهة بينه وبين انداده في العبقرية والنبوغ ليخرج من ذلك بحكم عليه يمين مكانه بين الرجال الذين قورن بهم. ليرى ان حياة كل من روسو والرصافي الخاصة قريبة من بعضها في اكثر من مجال واحد فكلاهما نشأ يتيما، وكلاهما لم يستقر في بلد من البلاد، وانما انفقا عمريهما مشردين تطاردهم السلطات ويتهددهم العيش بضروراته وتكاليفه، فقد عاش روسو متنقلا بين سويسرا وانكلترا وفرنسا وسواها من بلاد اوروبا لا يكاد يجد في احد منها العيش الهادىء الذي يمكنه من مواصلة نتاجه الفكري، وتنقل الرصافي مشردا فمن العراق الى فلسطين، الى لبنان فسائر الاقطار الشرقية ، فلقى مثل ما لقاه زميله.

وبمقدار ما قاسى روسو من تشنيع خصومه بما يكتنف حياته الخاصة من مفاسد، كابد الرصافي من هذا التشنيع الذي لم ينغص عليه حياته فقط، وانما استمر حتى بعد ان حسم الموت بينه وبين الحياة الفانية التي عاشها وعلى يد من يتوخى منهم الناس الانصاف (كالشبيبي) و(الزيات) ولم تكن هذه المفاسد العزوة الى كل منهما الا نتيجة لصراحتهما المتناهية في التحدث عن كافة الامور العامة منها والخاصة، تلك الصراحة التي لا ترضى من اعتادوا العيش في الظلام ومن دأبوا على الافساد من طريق تشويه سمعة كل مناضل يسعى لرفاه الشعب ويهدف لاقرار السيادة الوطنية.

وكما اخذ الكثيرون على الرصافي عيشه على حساب اصدقائه الكبيرين لادبه وشخصه اخذوا على روسو ايضا فقد عاش روسو على حساب امثال هؤلاء الاصدقاء النبلاء، فاذا قام (السعدون) باعانة الرصافي فقد قام (الركيز جيراندان) باعاشة روسو صاحب (العقد الاجتماعي) حتى اخترمه الموت.

وهذه الاوجه القليلة من التشابه بين حياة هذين النابغين ما كان لي ان اتناولها لولا انها شكلت بعض المؤاخذات التي كان وما يزال خصوم الرصافي يشنعون بها في كل مجال يتسع لهم.

اما الحياة العامة فقد كان التشابه بينهما كبيرا فيها.

فقد كان روسو من دعاة الديمقراطية الثائرين ولكنه لايمرز صرخاته بالتوجيه العلمي الذي يعين الواجبات ويرسم الخطوات ويعين النتائج، وانه قد غذى الثورة الفرنسية التي غيرت الكثير من مفاهيم الحياة واعتبرت اكبر نصر للقوى الشعبية في تاريخ النضال الانساني المستمر، وكذلك كان الرصافي "قصائد" في شجب طغيان الدولة العثمانية واعوانها، واناشيد ثائرة في مقاومة الاستعمار وماجوريه قد زادت من الشعور الوطني في نفوس العرب عامة والعراقيين خاصة.

والباعث على ايمانهما المسبق بالشعب والدعوة الى الثورة في سبيل الشعب واقرار حقه هو ايمانهما – على ما يقول روسو – بان "الشعب منبع الفضائل ولا احسب القراء بحاجة الى التدليل على ذلك وحوادث الرصافي ملء الاسماع والافئدة واذا كان (روسو) قد اولى مباحث التربية جهودا مشكورة فان تقارير الرصافي التي نظمها يوم كان مفتشا في وزارة المعارف العراقية قريبة منها لان كلا منهما كان ينزع في التربية الى التوفيق بين المقتضيات الواقعية وبين العلم.

وليست دعوة الرصافي في الرجوع الى الطبيعة الا صدى لنداء كان يردده روسو ، والدافع على دعوتهما متقارب بالنسبة الى الظروف المتشابهة التي مرت ببلديهما في العصرين الذين عاشا فيهما.

هذه لمحات مختصرة عن التقارب بين روسو والرصافي في بعض خطوط حياتهما العامة والخاصة. لابد ان نختمها – على سبيل المقارنة – بالتساؤل هل كوفئ الرصافي يمثل ما كوفئ به سلفة ؟ وهل جوزي على جهاده بشيء يدل على الرغبة في انصافه؟ ذلك ما نترك الاجابة عليه للاجيال القادمة.

"كتبت للعدد الخاص الذي اصدرته مجلة الشعلة في 18 آذار 1947".
عن كتاب (اعلام من الشرق)

جسور بغداد .. قديماً وحديثاً ..

صفاء الحيدري

الحديث كثير في التاريخ عن مدى الرقي العمراني والتوسع الحضاري اللذين بلغهما بغداد ايام العباسيين، اما قبل ذلك فان المظنون ان مدينة بغداد كانت مجرد قرية من القرى القديمة، احدثت قبل الاسلام، تقع حيث تقع الصالحية الآن، وتحيط بها البساتين والمزارع التي كانت تستقي من ماء الفرات. وقد تطاحنت عليها مختلف الاجناس وانصهرت فيها مختلف التيارات – دينية وفكرية وعقائدية وحضارية – فجعلت لها شأنا واي شأن في تاريخ العالم.

وبقدر ما تسرف هذه المصادر في التحدث عن قيمة بغداد التاريخية، تشح في ذكر التفاصيل التي نحن بصددها الان، ونقصد الوسائل التي كان يتم بواسطتها اتصال الناس عبر نهر دجلة. فالمعروف بصورة قاطعة ان مدينة بغداد في كل مراحلها التاريخية كانت تمتد شرقي دجلة وغربيها. وان معظم الحكام الساسانيين والمماليك السلجوقيين كانوا يبنون قصورهم على ضفتيها وان المزارع والبساتين والقرى كانت تمتد الى ما وراء هذه القصور مسافات شاسعة، وان الناس بين الضفتين كانوا يتزاورون لاسباب شخصية او معيشية، فكيف كان يتم هذا الاتصال؟ ابواسطة القوارب والطوافات، ام بواسطة اخرى، كالجسور مثلا؟

مما لاريب فيه، ان الزوارق والعوامات وغيرها وسائط لا غنى عنها للناس. ولكنها ليست ذات مفعول كالجسور. وقد ذكرت المصادر ان اول جسر عقد ببغداد قبل العباسيين كان جسرا ساسانيا انشئت قاعدته امام دار الحاكم الساساني نيسابور (وهي الدار التي عرفت ايام العباسيين بالقصر العباسي وتقع مكان المدرسة الثانوية بالكرخ الان) وقد كان او قائد عربي عبر عليه ودمر الفرس هو "النسين بن ديسم" احد قادة خالد بن الوليد عام ١٢ هـ ٦٣٣م. وقد استفاد العباسيون من كرسي هذا الجسر الشرقية والغربية فعقدوا عليه عام ٣٨٣هـ (٦٩٣م) جسرا هو الذي نزل عنده فيما بعد الرحالة الشهير ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) وتعددت الروايات بعد ذلك عن جسور بغداد. فمن قائل ان عددها ثلاثة، ومن قائل انها خمسة، ومن ذاكر ان من هذه الجسور ما كان للرجال. ومنها مما كان مخصصا للحريم وهذا شيء جديد في التاريخ اذ لم يسبق ان عقدت جسور خاصة بالنساء في الدولة العباسي. وقد جاء في كتاب "مناقب بغداد" لابن الفرج الجوزي (المتوفي سنة ٥٩٧ هـ) ان اول من عقد الجسور ببغداد كان المنصور. فانه لما بنى قصره الخلد في سنة ٥٩ هـ عقد الجسر عند باب الشعير وروى انه عقد ثلاثة جسور احدها للنساء ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان وعقد الرشيد بعده عند باب الشماسية جسرين آخرين فلما قتل الامين عطلا وبقي منها ثلاثة، ثم عطل واحد آخر.

وروى ان ابا علي بن شاذان قال – انه ادرك بغداد وفيها ثلاثة جسور الاول يحاذي سوق الثلاثاء والثاني بباب الطاق والثالث عند الدار العزيزة. وقيل ان الذي كان عند الدار العزيزة نقل الى باب الطاق. فصار هناك جسران يمضي الناس على احدهما ويرجعون على الآخر.

ثم لم يبق غير جسر واحد عقد عنده مشرعة الروايا من الجانب الغربي ولم ير في زمان الخليفة المسترشد ومن بعده من الخلفاء غير جسر واحد كان عند نهر عيسى ثم نقل الى باب القرية ثم عملت المرأة الملقبة "بنفشة" جسرا جديدا جعلته مكان هذا الجسر العتيق ورد ذلك الى مكانه من نهر عيسى وذلك في زمن الخليفة المستضيء بامر الله. فصار للناس جسران.. والذي يتضح من هذه السطور ان بناء الجسور لم يقتصر على الخلفاء.

وانما تعداه الى الاشخاص بل والنساء. ولكن ما جاء في المنتظم لابن الجوزي (٥٧٠ هـ) يفسر ان بناء بنفشة للجسر كان نتيجة أمر من المستضيء بامر الله ومما رواه معظم المؤرخين ان بغداد فيها دائما جسران على الاقل وان بلغ عدد هذه الجسور في عصر الخليفة هارون الرشيد الذهبي الى خمسة.

وان هذه الجسور كانت توضع دائما تحت امرة موكلين كالجسور الذي عمله عضد الدولة ونصب السيد محمد بن الحسن الاسعد السامرائي متوليا عليه. وان منها ما كان له ايضا صاحب كأسحاق بن ابراهيم صاحب الجسر في شارع الحدادين وان قسما من هذه الجسور تعرض للحرق. كما حدث عام ٣٠٨ هـ حيث شجع غلاء المعيشة على خروج الناس وحرق مجالس الشرط والجسور وان منها ما حمله التيار بكليته وقذفه بعيدا هو ومن عليه كما حدث عام ٤٣٠ هـ حيث ارتفع دجلة ١٠ ذراعا بين يوم وليلة وقذف بالجسر ومن كان عليه.

وقد جاء في صبح الاعشى للقلقشندي ان بين الجانبين على دجلة جسرين منصوبان شرقا يغرب على سفن وزوارق اوقفت في اماء ومدت بينها السلاسل الحديد المكعبة الثقال وفوقها الخشب الممدود وعليها التراب وتقوم على ضفتي دجلة قصور الخلافة. فلا عجب اذن في ان يحمل التيار هذا الجسر ومن عليه كما حدث عام ٣١٦ هـ اذ زادت دجلة زيادة مفرطة قطعت الجسور ببغداد وغرق من الجسارين جماعة. فقد كانت جسورا لا تتحمل قوة التيار الا الى حد معين.

ويقول الرواة ان الجسور كانت مواضع للنزهة بالاضافة الى كونها وسائل للعبور فقد كانت الناس تجتمع لديها بعد العصر من كل يوم وفي الايام المقمرة ليلا على الاخص على اعتبارها متنزهات وقد جاء في رحلة ابن بطوطة انه كان ببغداد جسران اثنان معقودان والناس يعبرونهما ليلا ونهارا رجالا مع نساء فيهم من ذلك في نزهة متصلة، وقد كان ابن بطوطة قد زار بغداد عام ٧٢٧ هـ (١٣٢٦م) ثم عاد اليها سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م).

اما جسور بغداد اثناء العهد العثماني فكانت جسرا في الاعظمية يسمى جسرا الاعظمية والجسر القديم قرب سوق السراء.

كلاهما مصنوعا من الواح الخشب المحدود الى شعائن خشبية مربوطة بالسلاسل وقد مد على الضفتين تحتها مجال للمقاهي وبائعي السكاير والمأكولات لنزهة الناس. وكان الناس يقصدونها مساء وكلما انقطع الجسر واعيد اتصاله احتفلوا بذلك احتفالا كبيرا فخرجت الزفة بالطبول والمزامير والراقصين وخلفهم الاطفال وكلما سمع القوم في بيوتهم صوت الطبول في غير ايام رمضان عرفوا ان هناك احتفالا بمد الجسر. وقد احرق العثمانيون هذا الجسر عندما انسحبوا من بغداد وظل يشتعل طيلة النهار.

وعندما دخل الانكليز بغداد انشأ جسرا مكان هذا الجسر وجسرا آخر سموه "جسر مود" كذكرى للقائد الانكليزي الذي فتح بغداد، واتخذوا عوامات حديدية له بدلا من الخشب ثم سكبوا عليها القير وبلطوها وكذلك فعلوا جسر الاعظمية. كما مدوا جسرا آخر اثناء الحرب العالمية الثانية في الزوية من الكرادة الشرقية يربطها بالوشاش لتسهيل انتقال الجيوش. وبانشاء الحكومة ١٩٣٧ –١٩٣٨ م جسريها الحديدين جسر المأمون وجسر الملك فيصل الثاني الذين كلفا (٧٢٠) الف دينار نقل جسر مود الى جوار عمارة فندق سميراميس ثم لم يلبث ان نقل الى سامراء. وبذلك اصبح عدد جسور بغداد اربعة. اثنان منها متحركان والآخران ثابتان، ثم لم يلبث الانكليز ان رفعوا جسرهم من الكرادة بانتهاء الحرب العالمية الثانية فبقيت ثلاثة جسور في بغداد فانشأت الحكومة العراقية عام ١٩٤٩ جسرا حديديا لوسائط النقل والقطار في العيواضية قرب البلاط الملكي كما بوشر بعد انشاء مجلس الاعمار ببناء جسرين ثابتين آخرين يستغرق احدهما وهو الذي بالباب الشرقي زهاء (٣٢ شهرا) . وسينتهي اول العام القادم.

ويستغرق الثاني وهو جسر الاعظمية (٣٨ شهرا) وسينتهي في نهاية هذا العام. وقد كلف انشاؤهما مليونين وربع مليون دينار وبذلك سيكون عدد الجسور في بغداد خمسة كلها ثابتة عدا جسر الاعظمية العائم الذي سينقل الى جهة اخرى للاستفادة منه في مكان آخر.

اما الجسران الجديدان فسيكونان اعرض من الجسور السابقة واجمل واحدث تخطيطا منها. وبذلك يتحقق لبغداد قسم آخر من الخطة التي ستجعل منها عاصمة عصرية تليق بدولة حديثة تواكب سير الحضارة في القرن العشرين.

عن مجلة اهل النفط

آب 1955 - العدد 49

جسر الملك فيصل الثاني الذي يربط الرصافة بالكرخ

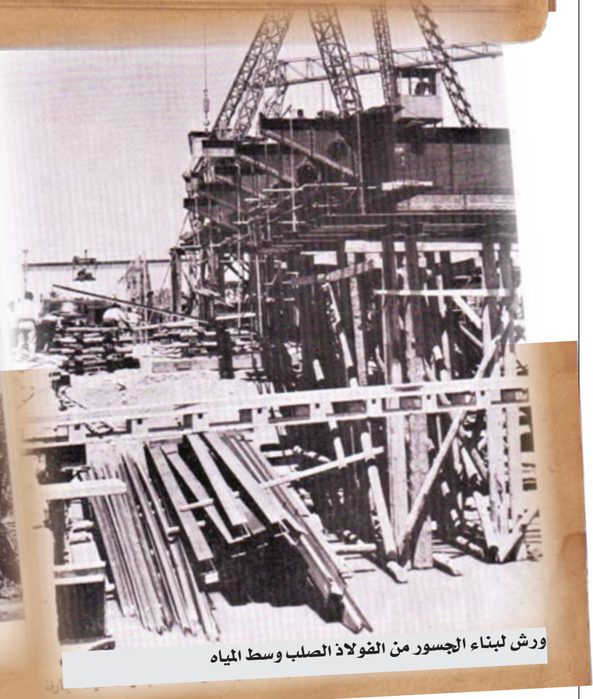

ورش لبناء الجسور من الفولاذ الصلب وسط المياه

الجسر الجديد احدث جسور العاصمة العراقية

جذوع النخيل كانت تستخدم كسجور للعبور بين الانهر

جسر الكاظمية العائم والذي يعتبر من طراز الجسور القديمة

كيف تأسست مكتبة الخلاني العامة؟

ناجي جواد الساعاتي
اديب عراقي راحل

جامع الخلاني وسط بغداد

منذ عشرين عاما او تزيد، كنا نخبة من الاصدقاء نتفاعل مع احداث البلد وحاجاته الكثيرة كما يتفاعل ابناء جيلنا المتحمس لتلك الحاجات والمتحمس للنهوض ببعض اعبائه فكلنا يدرك جيدا ما خلفته الحرب العالمية الاولى من تخلف في شتى مناحي الحياة، وما جلبته الحرب العالمية الثانية من مصائب وويلات، فسحقت بلادنا جيوش المتطاحنين الطامعين بخيراتنا والساعين للتمركز فيها عسكريا لاهمية استراتيجيتها حين اتخذت من العراق جسرا لتحقيق رغباتها وغاياتها، وتركت مشاكلنا التي لا تعنيها ولا نصطدم بمصالحها عرجاء شوهاء، فالامية المتفشية في مدننا وكذلك الجهل والمرض المطبق في قرانا، كان كل ذلك يمس مسا من بعيد على سبيل المجاملة، وتقضي له الحلول النصفية لا الجذرية.

ولما انفرجت عن البشرية جمعاء اكبر ازمة عالمية باعلان نهاية الحرب الكونية الثانية وبعودة الحياة الى غايتها الانسانية وسيرها في مجراها الطبيعي، وتحقق ذلك الحدث السعيد عام ١٩٤٥، قر قرار تلك النخبة من الاصدقاء ان تقوم بخدمة عامة مفيدة وهل هناك كالتعليم ونشر الثقافة من خدمة يحتاجها بلدنا الغارق في الجهل؟ فاقترحنا ان ندعو لتدريس الاميين من ابناء جارتنا، ورأينا في – جامع الخلاني – خير مقر، وفي علاقتنا بالسيد محمد الحيدري خير مجيب، لما نعهد، في شخصه الكريم من مميزات فلما توافرت لامثاله من علماء الدين، من عقلية متحررة، وصدق في العزيمة ورغبة خالصة في الخدمة العامة.. وكان السيد الحيدري – حفظه الله – عند حسن ظننا فقد قدم لنا غرفة في طرف من اطراف الجامع، ورحنا ننشر دعوتنا وسرعان ما توافد الرجال من اصحاب المصالح والحرف، الذين لم تسمح لهم اعمالهم المضنية بتوفير فرصة للدرس والتعلم، على المواظبة، وتلقفوا دروسنا الاولية بشوق ولهفة، واصغوا بادب ورغبة.

وكانت ومضة مشرقة من السيد الحيدري حيثما انار ندوتنا ذات مساء من العام نفسه، واعرب عن امنيته الكريمة الكبيرة في نشر الثقافة وتركيز دعائمها، معولا في ذلك على شحذ همم الشباب وجمع شمل الخيرين الساعين لبذل المال والجهد لاسعاد الاخرين، ثم راح السيد الحيدري يشرح لنا فكرته النيرة في بذل الجهود المتظافرة لجمع الكتب من البيوت الكريمة، والمال من الايادي المحسنة الرحيمة لتأسيس – مكتبة الخلاني العامة – في هذا الجامع لتكون منارا لنشر الثقافة وكنزا لادخار جواهر المعرفة.

وما ان انهى السيد الكريم اقتراحه حتى اشرقت اسارير الحاضرين، وتدفقت تبرعاتهم باريحية عالية، وكان السيد الحيدري البادي بالفضل والجود حين تبرع بمكتبته وتبعه جل الاخوان في تلك الليلة المباركة، حيث وضعت اللبنة الاولى لتشييد – مكتبة الخلاني العامة – ، التي راح يوءازر الدعوة لها اكثر الاصدقاء والاخوان ويساندها جل الناس الاخيار، حتى ازدحمت الغرفة وغصت رفوفها بالكتب، فقد جمعنا خلال شهور قليلة ما لم نكن نتوقع جمعه خلال سنين طويلة، اذ كانت امنيتنا صغيرة وطموحنا محدودا.. ولكن المجتمع – اي مجتمع – يضم دوما بين جوانحه عددا من الطيبين، والفكرة الطيبة لا تحتاج الا الى الخبرة والقيادة المخلصة لينساب ذلك المال الزلال، فتحيي الامال وتخضر الاماني.

فهذا السيد وائل السعيدي يهدي مكتبته الصغيرة في عددها الكبيرة في مغزاها. وذاك السيد يحيى الباجه جي تهزه اريحيته فيقدم مجموعة طيبة من كتبه ثم تسعفنا عائلة المرحوم المجاهد الكبير والوطني الحر محمد جعفر ابو التمن فتهدي مكتبته ذات الكتب النادرة والمظان القيمة.

وبهذه الاريحية والتجارب الكريم تضاعف نشاطنا، وزاد بالخيرين ايماننا، والناس هم الناس في كل مكان تسحرهم الدعوة الخيرة، ويساندون العمل المجدي الذي تعود ثماره لصالح المجموع.. لقد غصت الغرفة بالكتب المنهالة من هنا وهناك، فوقعنا من امرنا في حيرة، واجتمعنا لحل ازمة الكتب المكدسة، فاشار علينا السيد الحيدري باشغال الارض الخربة التي تهدمت ولم يبق منها سوى بقايا جدار وكومة من تراب واحجار.. فدهشنا للاقتراح الضخم وكادت تقعد بنا همتنا عن تحقيق هذا الامر المحال، اذ من اين ناتي بالمال لتشييد القاعة والخزانة، والناس اصحاب المال والاعمال لا زالوا يقاسوم الأمرين من الظروف التي فرضتها سنو الحرب، كما ان ندرة المواد الانشائية وغلاءها الفاحش كندرة المواد الغذائية سواء بسواء.

ولكني اعود لنظرتي المتفائلة لطبيعة الاشياء واوكد على ما امنت به دوما من ان الروح الخيرة في الانسان تطغى على الشر، فالانسان اقرب للاصلاح منه للهدم وللفضيلة منه للرذيلة.. وبهذه الروح المتفائلة والايمان المطمئن عقدنا العزم على اكمال المشروع والسعي به قدما، وفي صباح الغد التالي عرضنا طلبنا على المرحوم المواطن الغيور السيد صادق البصام لنحصل تحويلا – بجسور الحديد – من لجنة التموين العليا.. ومنحنا التحويل، وجمعنا المال لشراء الحديد، وما هي الا بضعة ايام حتى طرحت كمية – الجسور الحديدية – في ساحة الخلاني، تستعطف الايدي الكريمة والسواعد المؤمنة لتتبرع برفعها عن الارض حيث مقرها على قاعة المكتبة وخزانتها.

ويجمل بي ان اوضح ما صاحب مشروعنا هذا من تلكؤ وتعثر واراني ملزما ان اشرح هذه الناحية بوضوح، فقد ظهر لي من هذه التجربة ان آفة المشاريع الخيرية العامة اهمالها، وذلك بانطفاء جذوة المتحمسين لتأسيسها، وبالاخير انفضاضهم من حولها، وعدم مدها بالمعونة التي تعهدوا مواصلتها.. اذ في بداية كل مشروع يتحمس له جمهور خير، وتندفع لمساندته نخبة طيبة، لذا فباعتقادي ان ذكاء المؤسسين يجب ان ينصب على استغلال هذه الطاقات الخيرة من هذا الحماس المتأجج وذاك الاندفاع المتدفق. والا ضاعت الفرصة اذا ما توالت الشهور والايام وتداولت الاعوام وشغل كل بمشاغله الخاصة التي تكفي وحدها لاذابة جهود الانسان.

وهذا ما حدث فعلا لمشروعنا ، لمكتبتنا الفتية، فقد انصرف كل منا لبناء حياته فشغلته همومه اليومية عن الهموم الاجتماعية ، ورحنا لانزور المكتبة الا لماما، ولا نسعى وحدها سعيا حثيثا، وانطفات جذوة حماسنا وتركنا المكتبة واعباءها على السيد محمد الحيدري وحده ولحلمه الواسع، وحسن تقديره لظروفنا، لم ينح باللائمة على احد منا، ولم يتخل عن مشروعنا، فصبر صبر المؤمنين، حتى كتب لمشروع المكتبة النجاح، ورأينا يوما كيف ترفع فيه – الجسور الحديدية – بهمم المتبرعين لتستقر فوق المكتبة لتحنو على روادها من المطالعين المتطلعين للمعرفة، ولتحافظ، على تراث انساني فكري ضخم في مختلف فنون الادب والعلم والمعرفة تجاوزت مظانه ٢٦٠٠٠ ستة وعشرين الف مجلدا.

مجلة الكتاب العراقي آب 1973

من اوراق عبد الحميد الرشودي

قدم الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي مجموعة من مقالاته عن عدد من الشخصيات الادبية والصحفية والسياسية او عن بعض الاحداث الطريفة التي عرف اسرارها او تعليقاته على بعض المؤلفات التي تعنى بتاريخنا الفكري الحديث، ونعيد نشر هذه المجموعة تباعا في ملحقنا (ذاكرة عراقية).

مع الاديب والصحفي مشكور الأسدي

لا يبعد الله اخوانا لنا ذهبوا
افناهم حدثان الدهر والابد
نمدهم كل يوم من بقيتنا
ولايؤوب الينا منهم أحد

عرفت الاديب الراحل المرحوم مشكور مهدي الأسدي قبل نيف واربعين عاما وكانت قبل ذلك قد سبقته شهرته ونباهة ذكره وذيوع مقالاته في الصحف المصرية والعراقية فوجدت فيه من دماثة الخلق وحسن اللقيا وعفة اللسان ونقاء الضمير ما حببه الي ورغبني في صداقته ومودته.

كان لقاؤنا الاولى في مكتبة الزوراء في سوق السراي في كانون الثاني ١٩٥٠ وكنت يومئذ قد اودعت كتابي "ذكرى الرصافي" الى مطبعة بغداد لتتولى طبعه بنفقة المكتبة المذكورة فجاءني المرحوم مشكور الأسدي وبرفقته شاب تونسي قدمه لي باسم ابي القاسم محمد كرو وقال ان الاديب ابا القاسم يحتفظ بقصيدة للشاعر التونسي الكبير عبد الرزاق كرباكة وقد كتب لها ابو القاسم مقدمة وهي على ما أرى تصلح ان تضم الى كتابك فاخذتها منه وضممتها الى الكتاب فطبعت في الصفحات ١١٣ -١٢٠ من الكتاب المذكور والقصيدة تقع في (٥١ بيتاً) وبعنوان: "معروف العزيمة".

كان المرحوم الأسدي يتولى تحرير الصفحة الادبية في جريدة الهاتف عندما انتقلت الى بغداد فلم يأل جهداً في تشجيع الشداة من الادباء والناشئين من الكتاب فكان يترضى نتاجهم ويتعهد تلك البراعم بالرعاية فينشر لهم ما يصلح نشره بعد تقويمه وتوجيهه الوجه الصحيح وكذلك كان صنيعه عندما تولى الاشراف على الصفحة الادبية في جريدة الاخبار.

لقد كان الأسدي سباقا الى عمل الخير ومد يد العون الى كل من يحتاج الى العون والمساعدة. حدثني المرحوم الاستاذ ابراهيم الوائلي قائلا لقد وصلت انا واعضاء البعثة العلمية العراقية من المرشحين للدراسة في كلية العلوم بالقاهرة في تشرين الثاني ١٩٤٦ وكان قد مضى شهران من العام الدراسي فرفض عميد الدار المرحوم زكي المهندس السماح لنا بالدوام بحجة ان الدراسة قد بدأت قبل شهرين وقد حاولنا اقناعه بالعدول عن موقفه هذا فلم يزدد إلا عناداً واصراراً فسقط في ايدينا وبينما نحن نعد العدة للعودة الى العراق اذا بمشكور الاسدي يزورنا متفقدا فلما عرف محنتنا قال: لا عليكم غدا اصحبكم الى الدكتور طه حسين المستشار الفني في وزارة المعارف وتعرض عليه مشكلتكم فلا بد ان يجد لها حلا، فلما كان الغد كان مشكور الاسدي اول الداخلين على العميد طه حسين ونحن بصحبته فلما اصغى العميد لمشكلتنا طلب الاستاذ احمد امين ورجاء ان يكلم زكي المهندس ويلح عليه في قبولهم وقال له معلقا هل يتصور المهندس ان هؤلاء جاؤوا من طنطا ويستطيعون العودة الى بلدهم بعشرة قروش ! ان هؤلاء جاؤوا من العراق وقطعوا الاف الاميال وتغربوا في طلب العلم فليس من المروءة ان يذادوا عن بغيتهم ويردوا خائبين.

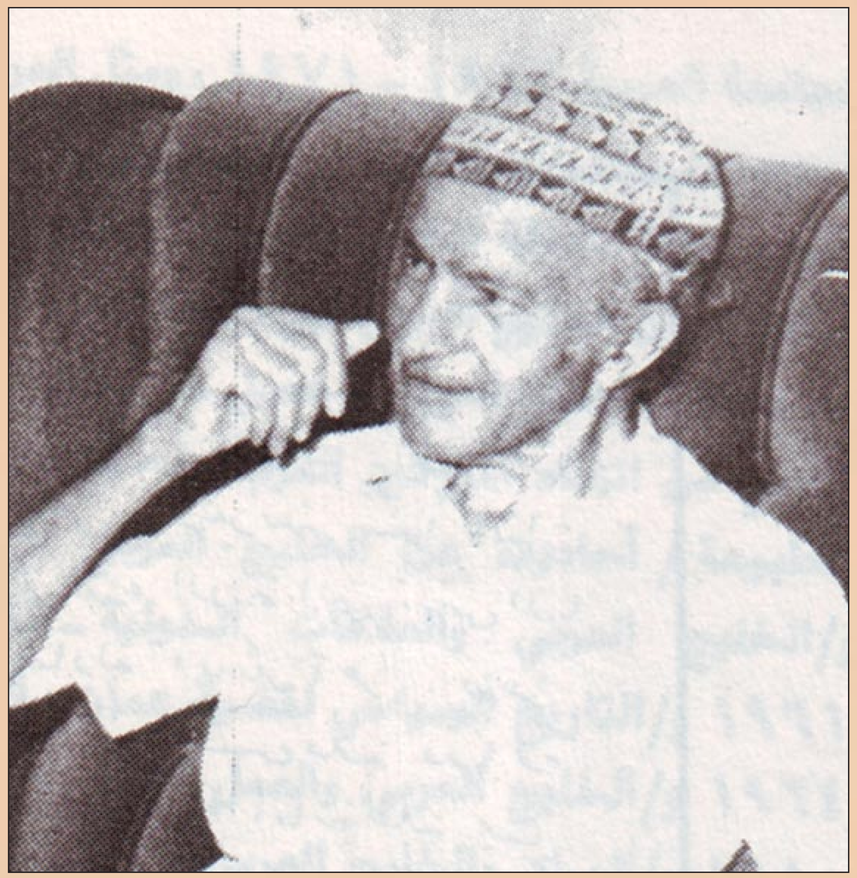

مشكور الاسدي

قال المرحوم الوائلي فلم يجد عميد دار العلوم زكي المهندس بدا من قبولنا ولكنه قال متحديا: سوف نرى النتائج فلما زادنا هذا التحدي إلا حرصا على مواصلة الدرس واستدراك ما فاتنا من الدروس فلما ازف موعد الامتحان كان طلاب بعثتنا من اوائل الناجحين والفضل في هذا كله يعود الى المرحوم مشكور الأسدي.

هذه واحدة من عشرات امثالها لعل طلاب البعثات العراقية الى القاهرة في ذلك الوقت يذكرون مثيلات لها.

التحق الاسدي بجامعة فؤاد الاول – كلية الاداب سنة ١٩٣٨ وقد سألت عنه الاستاذ الدكتور مهدي المخرزومي وكان من زملائه في تلك البعثة فاتني عليه وقال انه كان طالبا دؤوبا على دروسه مواظبا على الدوام لا تكاد تفوته محاضرة وكان له نشاط ادبي وصحفي خارج الجامعة وقد حصل على درجة ليسانسيه في الاداب سنة ١٩٤٣.

ولد المرحوم مشكور مهدي الاسدي في مدينة كربلاء سنة ١٩١٩ واكمل دراسته في مدارسها وكانت قد ظهرت ميوله الادبية. وهو في المرحلة الابتدائية فقد نال جائزة في الخطابة – واذكر ان مجلة الطرائف المصورة – في سنة ١٩٣٤ قد نشرت صورته وخبر فوزه بالجائزة.

ولعل من بواكير ما وقفنا عليه من نشاطه الادبي مقالة نشرت في مجلة الصباح المصرية (العدد ٦٥٤ الصادر في ٧/نيسان ١٩٣٩) انتصر فيها للدكتور طه حسين الذي تعرض في هذا العام لحملات من التجني والافتئات بسبب بعض الاراء التي نشرتها مجلة المكشوف البيروتية وزعم كاتبها بانه دونها عن حديث مع طه حسين ولكنه لم يكن امينا في نقله فقد جاءت مشوهة ممسوخة وكان ممن خدعوا بما نشرته المكشوف كاتب عراقي اسمه "محمد صبري عبد القادر الهاشمي" الي كتب في مجلة الصباح مقالا بعنوان: "خالف تعرف بين الدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك".

ومما جاء في مقالة المرحوم الاسدي قوله: "وما كنت يا سيدي الاستاذ لأعني كثيرا بالرد على هذه الفقرة من الخطاب لو لم يكن صاحبها عراقيا مثلي، فاني اخشى كثيرا ان يظن امرؤ – وبعض الظن اثم – ان هذا الرأي العجيب الذي احتوت عليه هو رأي العراقيين اجمع في الاستاذ الدكتور طه حسين وما هذا بالحق ثم انني فوق هذا احب ان انتهز هذه الفرصة لاصحح لابناء وطني العراقيين رأياً خاطئا جدا قد وقع – مع الاسف – بعضهم فيه عن غير عمد في ما يخص الدكتور طه حسين ومبادئه، وانني – وقد اتاح لي حسن الحظ ان اكون احد تلاميذه المخلصين لاستطيع فوق انه يحق لي ان اطمئنهم الى ان استاذنا الدكتور احرص مما يحسبون على العروبة والثقافة العربية والذب عن الاسلام ولغة القرآن".

لقد اقام الاسدي حقبة طويلة في القاهرة استطاع خلالها ان يقيم اوثق العلاقات وامتن الصداقات مع ادبائها وشعرائها وصحفييها وذوي الرأي ولا عجب في ذلك فقد حباه الله من الخلق الرضي والتواضع ما جعله محبوبا سريع الالفة قليل الكلفة يخف في قضاء حاجة الصديق وكان ملاذ طلاب البعثات العلمية العراقية والاساتذة المصريين المنتدبين للتدريس في مدارس العراق فكان سفيرا شعبيا للعراق في وطنه الثاني مصر وكان خير معرف بالكتاب العراقي مي مصر فكثيرا ما كان يحمل من الكتب الصادرة في العراق ليعرضها على معارفه من ادباء مصر والبلاد العربية الذين يهبطون مصر وهذه فقرات من كلمة له كتبها في الذكرى السابعة عشرة لوفاة الزهاوي كذلك على ما له من صلات وروابط بكبار ادباء مصر ومفكريها قال: "ومن اغرب ما حدثني به في القاهرة الدكتور زكي مبارك، رحمه الله، ان الزهاوي كان يطمع بان يكون شاعر البلاط المصري وسعى لهذا خلال زيارته (سنة ١٩٢٤) تلك فلم يوفق في مسعاه غير انني اشك في صحة هذه الرواية واستبعدها وقد سألت بالامس في ذلك الاستاذ رفائيل بطي الاديب الكبير ونائب بغداد فاستبعدها كذلك ونفى ان يكون الزهاوي حاول. تلك المحاولة، وقد اودع الشاعر لدى صديقه الاستاذ سلامة موسى ديوانه المخطوط "نزغات ابليس" واوصى بان لا يطبع إلا بعد وفاته بخمسين سنة وقد رجوت الاستاذ سلامة موسى ان يطلعني على الديوان فاخذه هذا معه الى اميركا حين هاجر اليها..".

لقد كان المرحوم الاسدي اديبا في اهاب صحفي يجيد المقالة الوصفية والخاطرة الادبية ولئن فاته ان يترك مؤلفات – وكان بوسعه لو اراد – فانه ترك مجموعة كبيرة من المقالات والخواطر الادبية لو جمعت لكانت سفرا كبيرا ولعل العلل والامراض التي اصطلحت عليه في الاعوام الاخيرة قد حالت بينه وبين جمع شتات تلكم المقالات فعسى ان ينهض بهذا العمل الادبي نجله الكريم وإلا فستظل تردد مع اليعقوبي قوله في رثاء عبد المحسن الكاظمي.

ومن عجب بكتك وانت ميت
بلاد ضيعتك وانت حي
اساءت نحو "محسنها" صنيعاً
فجاء اليوم يعتذر المسيء

×توفي الاستاذ مشكور الاسدي عام ١٩٩١

المس بيل

المس بيل وتأسيس المتحف العراقي

من المعروف جيدا ان غروترود بل قد اهتمت منذ وقت مبكر بالاثار، ولكي تكون اكثر تحديدا فان هذا الاهتمام بدأ منذ دراستها الجامعية وما وافق هذه الدراسة من جولات في القارة الاوروبية ومن ثم الشرق الذي اولعت به منذ اول زيارة لها لبلاد فارس عام 1892. وبقدر تعلق الامر بالعراق فانها زارت خلال السنوات التي سبقت قيام الحرب العالمية الاولى عددا من المواقع الآثارية في شمال العراق ووسطه وجنوبه. ويمكن القول ان معظم مؤلفات غروترود عن الشرق لا تخلو من اشارات الى مواقع اثارية في العراق، فضلا عن نبذة عن تاريخ كل موقع والحضارة التي يعود اليها.

د. محمد يوسف القريشي

بعد ان التحقت غوتريد بهيئة موظفي السيربرسي كوكس في العراق، ادركت الحاجة الضرورية للاهتمام باثار العراق والمحافظة عليها من العبث والسرقة، ففي عام ١٩١٧ حذرت غروترود الموظف البريطاني المسؤول عن الواردات ، والذي كانت دائرته مسؤولة عن المواقع الاثارية، من اي تصرف يسيء للاثار، واخذت عليه تعهدا بعدم هدم اي موقع اثاري في بغداد.

كما قامت غروترود بزيارة عدد من المواقع التي اصبحت بحاجة ماسة للترميم لحيلها للانهدام. ومن ابرز هذه المواقع طاق كسرى الذي تعرض احد جدرانه للتصدع، فما كان منها الا اصطحاب احد المهندسين للموقع لعمل ما بوسعه من اجل تقوية هذا الجدار. ولما وصل الامير فيصل الى العراق اصطحبته لزيارة طاق كسرى لتطلعه على الاثار ومعالم الموقع ومحل جلومر كسرى، وشرحت لفيصل كيفية فتح طيفون من قبل العرب المسلمين بعد معركة القادسية كما رواها الطبري في تاريخه "الرسل والملوك". ان الاهتمام الذي ايدته غروترود بالاثار العراقية وسبل المحافظة عليها دفع الملك فيصل، بعد توليه العرش، ان يطلب من الوزارة التفبيية وبايحاء من غروترود، تعيينها مديرة فخرية لدائرة الاثار القديمة بصورة مؤقتة لحين ايجاد الشخص المناسب ليتولى امور هذه الدائرة. وقد حظى هذا التعيين بارتياح غروترود التي بدأت العمل بالتفكير بالطرق التي تحمي الاثار من السرقة.

وفي احدى زياراتها للملك طلبت منه مساعدتها في تشريع "قانون التنقيب" الذي قامت باعداده بعد استشارات قانونية. وعند مناقشة مشروع القانون بينها وبين الملك تعهد لها بتمريره في مجلس الوزراء. ارتبطت دائرة الاثار القديمة بوزارة الاشغال والمواصلات. وهذا ما اثار فرح غروترود للصداقة التي تربطها بوزيرها صبيح نشأت، الذي استقبلها عدة مرات وناقش معها مشروع القانون. كما حضرت غروترود اجتماع مجلس الوزراء لشرح بنوده الذي قرأت فقراته ودافعت عنها امام اعضاء الوزارة، وبعد مناقشة دامت ساعتين تمكنت من اقناع الوزراء بالمشروع فصدر القانون بعد ادخال بعض التعديلات.

استقبلت غروترود بعد توليها دائرة الاثار القديمة عددا من البعثات الاثارية الاجنبية التي كانت تطمح الى الحصول على امتياز التنقيب في بعض المواقع الاثارية. ومن اشهر هذه البعثات البعثة المشتركة للمتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الامريكية برئاسة ليونارد وولي "L.woolley" وحصلت هذه البعثة على امتياز التنقيب في مدينة اور والاثرية، وبدأت العمل في تشرين الثاني ١٩٢٢ واستمرت بالعمل لسنوات طويلة وكما منحت جامعة اكسفورد امتيازا للتنقيب في مدينة كيش وبدأت العمل في كانون الثاني ١٩٢٣.

اتمت البعثة الاثارية المشتركة موسمها الأول في مدينة اور حيث نجحت في العثور على قطع اثارية مختلفة لذلك ذهبت غروترود الى مكان عمل البعثة لاقتسام هذه اللقى الاثرية بين البعثة والعراق.

استغرقت عملية الاقتسام يوما كاملا وقد حرصت غروترود على الحصول على احسن اللقى الاثرية الموجودة، مما اثار غضب المستر وولي لاختيارها قطعا تمثل خوذة ذهبية وقيثارة ، دنبوس ذهبي وهي تمثل افضل ما تم العثور عليه.، كما حرصت غروترود على الحصول على قطعة اثرية عبارة عن تمثال سومري لاحد ملوك مدينة كيش يبلغ طوله ثلاثة اقدام، لكنه بدون رأس كتب على كتفه كتابة تمكن احد الاثاريين الموجودين من قراءة اسم الملك فقط دون التوصل الى معرفة معاني الكلمات الاخرى، لذلك ارتأت غروترود ارسال التمثال الى لندن لفك رموزه من قبل علماء الاثار واعادته الى العراق بعد الانتهاء من ذلك.

قامت غروترود بجمع القطع الاثرية التي حصلت عليها نتيجة الاقتسام وبعد ان استحصلت موافقة الحكومة العراقية قررت اقامة معرض صغير تعرض فيه اثار مدينة اور، بعد ترتيبها بصورة منظمة حيث وضعت على كل قطعة بطاقة تضمنت معلومات عن القطعة باللغتين العربية والانكليزية ، ووجهت الدعوة للملك ولبعض الوزراء والوجهاء لحضور هذا المعرض.

شهد مطلع عام ١٩٢٤ قيام غروترود بجولة تفتيشية على المواقع الاثرية في الجنوب للاطلاع على اعمال الحفر والتنقيب التي تقوم بها البعثات الاثارية ولمسح كافة المواقع الاثرية الموجودة في العراق وقد وضعت تقريرا حول هذه الجولة بداية هذه الجولة مدينة كيش، التي تعمل فيها بعثة اثرية تضم مجموعة من كبار علماء الاشوريات. وفي يوم ٥ كانون الثاني ١٩٢٤ زارت مدينة الوركاء فوجدت فيها مجموعة من الرجال والنساء والصبيان مشغولين بالحفر بصورة غير منتظمة وقد جمعت هؤلاء الناس واخبرتهم بان عملهم هذا مخالف للقانون وان عليهم الابتعاد عن هذه الاعمال لانها تعرضهم للمساءلة القانونية، ثم طلبت منهم جلب ما لديهم من قطع اثارية لكي تشتريها منهم لغرض وضعها في المتحف، وطلبت منهم جمع كل ما عندهم وبيعه لها الان ، واذا لم يرغبوا بذلك الان فبامكانهم تسليمها لشخص منهم ليقوموا بالمراقبة ومنع اعمال الحفر والتنقيب، التي تعتقد بانه من الصعوبة منع الحفر في الوركاء، لان منطقة الحفر بعيدة عن انظار الحكومة وقريبة من مساكن هؤلاء الناس، وان الامل بالحصول على بعض الروبيات تغريهم على الاستمرار في الحفر وان هذا بدوره يسبب اضرار كبيرة للآثار.

وفي ١٦ كانون الثاني ١٩٢٤، زارت احد المواقع بالقرب من الشطرة، وقد شاهدت في هذه المنطقة وجود العديد من الحفر غير المنتظمة.، وقد ترك في احد هذه الحفر معول وفأس وشاهدت بعض الرجال عن بعد، فامرت الشرطة الذين كانوا يوافقونها بجلب هؤلاء الرجال، فتمكنوا من جلب احدهم، بعد هرب الباقين، ولما استفسرت منه عن تلك الحفر اخبرها انها من فعل مجموعة من اهل الشطرة. وتعتقد غروترود بان هذه الاعمال تجري لحساب تاجر من اهل بغداد يتاجر بالاثار القديمة لذلك فانه يؤجر جمعات من الناس ليقوموا بالحفر ويشتري منهم كل ما يعثرون عليه، ويقوم هو بدوره ببيع هذه القطع لتجار الاثار في اوروبا الذين كانوا يدفعون مبالغ كبيرة لما لهذه القطع من قيمة عالية، ولايقاف مثل هذه الاعمال فانها ترى ان الواجب يقتضي التنسيق مع وزير الداخلية لتعيين عدد من الموظفين المحليين ليقوموا

يقوم بها عامة الناس، والممنوعة بموجب القانون.

بعد ان اتمت غروترود جولتها قامت بزيارة اور لاقتسام اللقى الاثرية التي تم العثور عليها. وفي هذه المرة ايضا اصرت غروترود على اخذ احدى القطع، التي تمثل منظرا لحلب الابقار وهو منظر فريد ولذلك ارادت وضعه في المتحف.

وقد اثار هذا المستر وولي الذي قدر قيمة القطعة بعشرة الاف باون استرليني على اقل تقدير، لذلك قررت غروترود اخفاء قيمة القطعة عن الحكومة خشية ان تقرر بيعها بدلا من وضعها في المتحف.

لم تقتصر مهمة غروترود على اقامة المعارض وتفقد المواقع الاثرية وحضور عمليات اقتسام الاثارة وانما ارادت الاستفادة من وجود عدد من علماء الآثار المصاحبين للبعثات الاثرية في القاء محاضرات علمية تاريخية لشرح تاريخ العراق القديم واهمية المواقع الاثرية القديمة وقيمتها في كشف تاريخ البلاد القديم. ومن ابرز هذه المحاضرات، المحاضرة التي القاها المستر ووبلي بدعوة من غروترود بصفتها مديرة فخرية لدائرة الآثار القديمة . وحضر هذه المحاضرة باكملها للحضور، كما قامت بتعريف الملك بالمستر ووبلي لكونه احد العلماء الاثاريين المشهورين.

قامت غروترود بالتعمق، بدراسة تاريخ العراق القديم ولاسيما المؤلفات التي اصدرتها جامعة كمبردج . بالاضافة الى استفادتها من المعلومات الجديدة التي تكشفها التنقيبات الآثارية لتعزيز معلوماتها الآثارية السابقة. وهذا ما جعل معلوماتها غزيرة في هذا الجانب.

ويبدو ان تولي غرترود مهمة رئاسة دائرة الآثار القديمة بصورة فخرية يعود لعدم تفرغها لشؤون هذه الدائرة بصورة كاملة، لان عملها الرئيس كان مع المندوب السامي بصفة سكرتيرة شرقية، ولكن شغفها بالآثار دفعها لتولي المسؤولية الفخرية لدائرة الآثار وتخصيص جزء من وقتها لها.

لقد اشرنا من قبل الى المعرض الذي اقامته غرترود للقى الاثرية التي حصلت عليها من اور. وقد تضافرت جهود غرورود في العمل من اجل جعل هذا المعرض متحفا دائما لاثار العراق حيث قامت بجمع الآثار التي كانت تحصل عليها في هذا المتحف حتى غدا المتحف يضم عددا كبيرا من القطع الآثارية وقد اشار الاستاذ محمد علي مصطفى الى ضخامة هذا العدد. فعندما عمل الاستاذ محمد علي في المتحف في بداية الثلاثينيات وجد صناديق ضخمة وباعداد كبيرة معبأة بقطع أثارية مختلفة تعد بالالاف بالاضافة الى ما تم عرضه من قطع، وقد اخبره العاملون الذين سبقوه في العمل في المتحف بان هذه الصناديق والآثار الموجودة فيها قد جمعتها غرترود اثناء توليها مسؤولية دائرة الآثار القديمة.

بذلت غرترود جهودا من اجل الحصول على بناية كبيرة وجديدة للمتحف، لان بنايته السابقة اصبحت غير صالحة لصغرها وعدم استيعابها للمزيد من القطع الاثرية وتمكنت من الحصول على بناية كبيرة بدأت بترتيبها لعرضها على الزوار، كما عملت على ترتيب القطع الاثرية بطريقة نموذجية من خلال وضع البطاقات التوضيحية والاعتناء بهذه القطع وحفظها. لقد استنزفت هذه الاعمال وقتا وجهدا كبيرا ومع ذلك فانها كانت سعيدة بعملها في المتحف وهي تقول "بانها الوحيدة التي تعرف عن كل شيء موجود في المتحف" وهي ترى ان عملها مسؤولية كبيرة تجاه العراق وحكومته التي اعطتها ادارة الآثار القديمة وانما تجاه علم الآثار بصورة عامة.

اصبح المتحف الذي اسسته غرترود من الترتيب والاناقة ما جعلها تصفه بانه شبيه بالمتحف البريطاني، إلا انه اصغر منه ، فالزائر بامانة ان يرى الدواليب وهي مرتبة حسب العصور التاريخية وكل قطعة عليها بطاقة توضح اسمها وتضم معلومات عن العصر الذي تمثله وكان وجودها وماذا تمثل هذه القطعة.

القيثارة الذهبية

استمرت غرترود في اداء اعمالها في دائرة الآثار القديمة بنفس الهمة والنشاط والحيوية التي بدأت بها في بداية استلامها لهذه الدائرة حيث واصلت زيارة المواقع الاثرية واستقبال البعثات الآثارية، بالاضافة الى تنظيم امور المتحف وجلب المزيد من القطع الاثرية لوضعها فيه.

وكان للجهود الكبيرة التي بذلتها غرترود في تأسيس دائرة الآثار القديمة والمتحف العراقي وتشريع قانون الآثار وتبرعها بمبلغ ستة الاف جنيه استرليني لتصرف على تأسيس مدرسة تعنى بدراسة الآثار القديمة في العراق، على ان يستخدم قسم من المبلغ للاعمال التنقيبية في العراق حسبما اوصت في وصيتها التي كشف عنها بعد وفاتها. قام عدد من اصدقائها بتنفيذ فترة انشاء المدرسة لتخليد ذكراها حيث اجتمع عدد من البريطانيين المهتمين بالآثار من اصدقاء غرترود وانتخبوا لجنة لجمع التبرعات لانشاء هذه المدرسة واختاروا برسي كوكس رئيسا للجنة وبونهام كارتر سكرتيرا لها ووضعت مجموعة من علماء الآثار المشهورين. وعقدت اللجنة اواخر عام ١٩٢٩ عددا من الاجتماعات والندوات التي القيت فيها الخطب والكلمات التي توضح اهمية وقيمة العمل الذي تعتزم اللجنة القيام به وهو احياء ذكرى غرترود بل. وساهم في القاء هذه الخطب مجموعة من الاشخاص المبين من ابرزهم رئيس الوزراء البريطاني "James Ramsay Macdonald" ١٩٢٩-١٩٣٥ الذي اعلن في خطبته عن استعداد الحكومة البريطانية للتعاون مع الحكومة العراقية لانجاح هذا العمل.

كانت الغاية الاساسية من تأسيس المدرسة تشجيع الطلاب البريطانيين المعنيين بدراسة الآثار العراقية القديمة من خلال منحهم التسهيلات الميسرة كدفع نفقات دراستهم او او سفرهم للعراق، والهدف من كل هذا تشجيع الحفريات الآثارية في العراق وبشكل واسع على ان يتم التنسيق بين هذه المدرسة والبعثات الآثارية العامة في التنقيب والحفر في العراق. وقامت هذه المدرسة باصدار مجلة تعنى بشؤون الآثار العراقية سميت Archeology and Architecture in Iraq اي "الاثار والعمارة في العراق، وساهم في تحريرها والكتابة اليها عدد من علماء الآثار البريطانيين وغيرهم.

ولعل افضل اعتراف بالجهود التي بذلتها غرترود في هذا المجال من قبل الحكومة العراقية هو اقدامها على وضع تمثال في المتحف العراقي يمثل غرترود بل تخليدا لذكراها. وقام الملك فيصل برفع الستار عن التمثال يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٣٠ بحضور المندوب السامي السير فرنسيس همفريز والمستشارين البريطانيين. والتمثال نصفي قائم على لوح من نحاس منقوش مساحته متر مربع ويحوي كتابة باللغة الانكليزية من جهة اليسار وباللغة العربية من جهة اليمين وهذا نصها.

"غرترود بل، التي لذكراها عند العرب كل اجلال وعطف، اسست هذا المتحف عام ١٩٢٣ بصفتها المديرة الفخرية للعاديات في العراق. وجمعت الاشياء الثمينة التي يحتويها باخلاص وعلم دقيق واشتغلت بها مدى حر الصيف الى يوم وفاتها".

وقد امر الملك فيصل بان يطلق اسمها على الجناح الرئيسي في المتحف تكريما لجهودها في تأسيس المتحف.

ومما لا شك فيه ان الجهود التي بذلتها غرترود بل اثناء توليها دائرة الآثار القديمة اثمرت عن الكشف عن حضارة العراق وآثاره التي اثارت اعجاب العالم ودفع المزيد من البعثات للتوجه للعراق طمعا في الحصول على امتياز التنقيب.

المتحف العراقي في العشرينات

عن كتابه (المس بل واثرها في السياسة العراقية)

مـــــدن عـــراقـــيـــة

قـــلـــعـــة صـــالـــح

باسم عبد الحميد حمودي

من هو صالح ؟ – دور كرسوع الاسكاني ! – شطرة العمارة وشطرة الفرات – هتشكوك لايوافق على فتح مدرسة للصابئة
عبد الجبار عبد الله وفيصل لعيبي وقوافل المبدعين

اسست مدينة قلعة صالح سنة ١٨٦٥ زمن العثمانيين على ضفة دجلة اليسرى تقابلها من الجهة اليمنى قرية (أم مسحاة) زمن تأسيسها والتي كان يسكنها (بنو مالك)
كانت بيوت قلعة صالح عند تأسيسها طينية ، وقد تم تشييد أول بناية في جلعة صالح(وهذا هو اسمها الشعبي) من قبل الكتيبة العسكرية العثمانية – الهايتة – التي كان يترأسها قائد الكتيبة التركية (صالح سليمان النجدي) التي سميت المدينة بأسمه بعد هذا .
كان هدف تشييد القلعة عسكريا أذ انفصلت كتيبة صالح ا لنجدي عن الجيش العثماني المقيم في رأس الحد (وهو محل انشطار نهر الكحلاء عن دجلة) وأنتقلت شرقا الى قلب مركز عشائر البو محمد ، وكا ن واجب كتيبة صالح العكيلي النجدي هوحماية السفن والبواخرالتي تسير في دجلة بين البصرة وبغداد سواء كانت حكومية أم أهلية من هجمات القبائل الساكنة على الضفتين .
بعد بناء القلعة وتمركز قوات الجيش فيها وحولها جلب قسم منهم عائلاتهم وسكنوا مع العائلة في بيوت من قصب.
يقول الاستاذغضبان الرومي في كتابه (مذكرات مذائية) ما نصه (ص٣٦) : ((بعد فترة أجتمع حول الجيش العثماني نفر من المنتفعين وبنوا لهم بيوتا من قصب وكان قسم كبير من الصابئة يسكن في الزجيلة والعزير والقورنة وسكنوا مع من سكن حول القلعة وقد أمنهم قائد الكتيبة وطلب من كرسوع –وهو احد المتنفذين لديهم ورئيس عشيرة الخميسية – أن يقنع كافة الصابئة للسكن على ساحل دجلة وكتب لكرسوع حجة وأقطعه الارض بين القلعة وساحل دجلة الى المجرية وهكذا وبعد فترة قصيرةجاء الناس من الصابئة من العشائر من الزجية والقورنة وسكن والدي وعمي مع صابئة قلعة صالح وهم من عشيرة الخميسية التي كان من رؤسائها في ذلك الوقت سهر والد كزار وأعمار وحافظ وارحيم)) وسكن الحدادون والعمال والصيادون في أنحاء مجاورة للقلعة .هكذا اتسعت المدينة وتكونت المحلات الشعبية فيها ومن أعرقها :

١- محلة الصابئة وتقع في موضع اللطلاطة حيث المركز الديني لهم وأماكن تجمعهم السكني وقد اتسعت هذه المحلة وانشطرت الى محلتين خاصتين بالصابئة
٢- محلة السليمانية وحدودها من الجسر الى علوة الاسماك وكان سكانها القدامى من اليهود وعدد من المسلمين
٣- محلة الغربية وتقع على الجانب الايسر من نهر الكرمة الذي اندثر بمضي الزمن وظلت المحلة قائمة

٤- محلة الحسينية

وتضم قلعة صالح مجموعة من العشائر المعروفة منهم بني مالك والسرّاي والبيضا ن والسواعد و آل أزيرج وعبادة وسكن فيها اليهود الذين قدموا من منطقة العزير وعاشوا فيهامتعاونين مع المزارعين بتقديم الخدمات المالية لهم فيما عملت طائفة الصابئة بصناعة المواد المساعدة على الزراعة والحدادة وصناعة الزوارق أضافة الى المهنة التقليدية لهم وهي الصياغة بأنواعها الفضية والذهبية.
في عام ١٩١٨ انتشر وباء الطاعون في المدينة وهلك ناس كثيرون لرفضهم التطعيم الذي كان يشرف عليه جندي انكليزي اخذ على عاتقه الامر بتوجيه من السلطة البريطانية المحتلة وقد امرت السلطة الادارية الاهالي ان يتركوا المدينة الى البساتين المجاورة للحد من الاصابة والوفيات حتى انجلت الغمة التي تجددت بشكل آخر عام ١٩٢٣ .
في ذلك العام انتشر مرض الكوليرا في القلعة وكان الناس يسمونه أبو زوعة لاعراضه التي تمتاز بكثرة التقيوء والاسهال وقد قام الطبيب اليوناني قسطنطين بالفلو المقيم في القلعة بحملة تطعيم للاهالي الذين وافقوا على اجرائه فيما رفض البعض ذلك لعدم ايمانهم بجدواه !
كان اول مدير لادارة قلعة صالح هو حسن بك وأول قائمقام عثماني هو الحاج أمين بك الذي قام بتشييد الجامع الكبير فيها عام١٨٨٦ وكانت قلعة صالح تسمى اول الامر الشطرة لشطرها نهر الكرمة الذي اندرس بعد ذلك ثم سميت (شطرة العمارة) تمييزا لها عن (شطرة المنتفك) لكن القائد صالح النجدي الذي بنى القلعة قد أثّر في تسميتها ب(القلعة) بعد هذا .
افتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنين فيها عام ١٩١٦ وكان أول معلم لها هو السيد عبد القادر صالح من البصرة وقد أصبح مديرا لها ومعه المعلمون من محافظة العمارة الملا كريم لتدريس الدين الاسلامي والشيخ عبد الله سام لتدريس الدين المندائي وعند مجيئ الاحتلال البريطاني كان الضابط البريطاني هتشكوك مسؤولا اداريا عن القلعة فتقدم له الوجيه الصابئي رومي عكلة بطلب لتأسيس مدرسة ابتدائية خاصة بالصابئة كان الغرض منها اكتساب الحرية في التعليم الديني للطائفة لكن هتشكوك لم يوافق وتولى أحد المعلمين الصابئة تدريس الطلبة اصول دينهم مثلما الامر مع المسلمين .ومما يذكر أن هتشكوك (الذي يترجم البعض اسمه :هجكوك . هو الذي كتب كتابا مهما عن الاهوار العراقية تحت عنوان الحاج ريكان أو عرب الاهوار)
يقول غضبان الرومي (ص٢٣ من كتابه) ما نصه : ((اهتمت حكومة الاحتلال فعينت لكل دين معلما يعلم أبناء ملته ديانتهم وعليه فقد كنا ندرس لغتنا المندائية والديانة الصابئية على يد رؤساء الدين الصابئي أذكر منهم الشيخ عبد الله الشيخ سام والشيخ فرج الشيخ سام والشيخ زهرون الشيخ محيي في العمارة وشيخ داخل في الناصرية))
في عام ١٩٠٥ حدثت حرب بين عشائر بني لام بزعامة الشيخ غضبان البنية وشيوخ آلبو محمد بزعامةفالح واخوته وكان الغلبة لبني لام الذين سيطروا على المجر والكحلاء ووصلوا حدود الجلعة وعندما حدث التراضي هدأت المنطقة .
ازدهرت قلعة صالح بعد ذلك ونمت فيها عملية التعليم فتأسست مدرسة الفيصلية للبنين ومدرسة القلعة للبنات في أربعينات القرن الماضي ثم تأسست مدرسة الاندلس الابتدائية حتى تطور العمل التربوي فيها بعد هذا ثم اسست المدرسة المتوسطة بحيث أمتنع الطلبة عن الذهاب الى البصرة أو العمارة أو القرنة للدراسة والوصول الى المراتب العلمية المتقدمة كما هو الامر مع د. عبد الجبار عبد الله استاذ الفيزياء ورئيس جامعة بغداد (ت ٩حزيران ١٩٦٩) .
اشهر الاسر التي ثبتت أركان القلعة وبرزت هيبتها الاجتماعية فيها بيت المرزوك وبيت دمعة (ومنهم الاستاذ مجيد دمعة) وبيت سيد جواد القزويني وبيت درجال وبيت عاشور الحسن وبيت الملا سليمان وبيت مصلح وبيت محسن المالكي وبيت الحاج علي بهار الظالمي وبيت السادة البو حيه وسواها من العوائل الكريمة .
من العوائل النجدية التي استوطنت المدينة بيت الملا سليمان الصالح أول معلم للمدرسة الاهلية في الناحية وبيت مرزوك وابرزهم صالح المرزوك ومنصور المرزوك وبيت السادة حسن ومحمد الخلف.
ومن ابرزالبيوت من الصابئة بيت الشيخ رومي بن الشيخ سام وبيت ومندى الشيخ يحيى بن الشيخ زهرون وبيت سبتي والبو كلمش.
ابرز فنان تشكيلي ولد في قلعة صالح هو الرسام فيصل لعيبي ومن أهم الدارسين في حقل الثقافة الشعبية الاستاذة ناجية غافل المرّاني والباحث غضبان الرومي المؤلف والمترجم في حقل الدراسات المندائية ود. عبد الواحد محمد عميد كلية اللغات الاسبق والمترجم المهم وعلي كاظم درجال الربيعي الشاعر ومؤلف أوبريت (هيلة وحمد) والخطاطان قاسم رسن وعلاالعباسي ومن الفنانين السادة : عبد الواحد جمعة وفرج وهّاب وسلمان الجوهر.
الاسماء كثيرة لايحدها مقال لأن (قلعة صالح) مكان دائم للأبداع ولتعايش العراقيين بكل أطيافهم منذ أن كانت الجلعة وما زالت ،وما زالوا أبدا.

ذكريات عن الطبيب الراحل محمود الجليلي

شكيب كاظم

في اواخر حياته

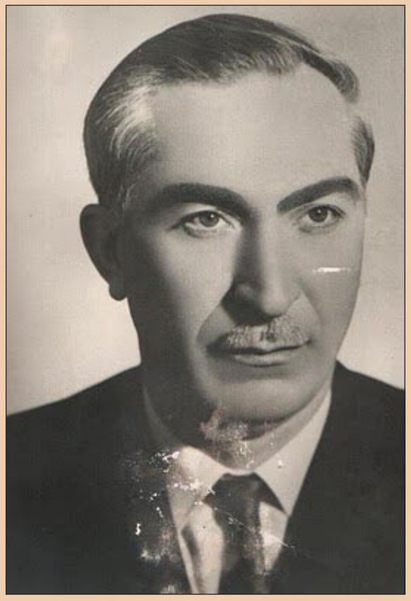

الجليلي حين كان شابا

بتأريخ ١٩/ تشرين الثاني/ ٢٠١١ قرأت في جريدة (الزمان) نعي الطبيب النطاسي الحاذق، الاستاذ الدكتور محمود الجليلي، الذي كان له فضل تأسيس جامعة الموصل من خلال نواتها الاولى كلية طب الموصل، التي افتتحت في السنة الدراسية ١٩٦١ – ١٩٦٢ وكان من طلبتها صديقي وابن محلتي الكرخية الشواكة الطبيب هادي جابر، لتكون جامعة الموصل ثاني جامعة عراقية بعد جامعة بغداد، ولتزدهر الجامعات العراقية، فتمسي جامعة البصرة ثالث الجامعات سنة ١٩٦٤ – ١٩٦٥، وكان الاستاذ الدكتور عبد الهادي محبوبة اول رئيس لها، وانشئت في منطقة التنومة بناحية شط العرب، ومن الجدير ذكره ان الاستاذ عبد الهادي محبوبة زوج الاستاذة والشاعرة الرائدة نازك الملائكة ورأيتهما مرة في ناحية العزير وهما يستريحان في احد مقاهي الناحية من وعثاء السفر الطويل من بغداد الى البصرة، بسيارتهما التي تحمل رقم (١/ جامعة البصرة).
لقد كان الطبيب محمود الجليلي الذي تلقى علومه في جامعة فؤاد الاول (القاهرة. فيما بعد) ومن ثم في جامعة هارفارد الامريكية العريقة، من الرعيل الاول من اطباء العراق الحاذقين الاوائل، الذين وضعوا اللبنات الاولى للطب في العراق الحديث، ومن خلال تأسيس الكلية الطبية الملكية التي انشأها الملك المؤسس الباني للعراق الحديث، فيصل بن الحسين، وكلف الطبيب البريطاني سندرسن باشا، طبيب العائلة المالكة العراقية، بالاشراف عليها وقيادتها، فقدمت لنا هذا الرعيل الرائع من اطباء العراق، ولعل من يريد الاطلاع على وقائع الطب في العراق فارجوه العودة الى مذكرات الطبيب الحاذق الدكتور المرحوم كمال السامرائي التي وسمها بـ(حديث الثمانين – سيرة وذكريات) صدر جزؤها الاول عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد عام ١٩٩٦ وتوالت بقية الاجزاء وكذلك قراءة المنجز الموسوعي الضخم، الذي كتبه الطبيب اديب توفيق الفكيكي – رحمهما الله تعالى – والذي يعد مرجعا مهما للطب في العراق واعني به كتابه المعجمي (تأريخ اعلام الطب العراقي الحديث) وصدر بأجزاء عدة، صدر جزؤه الاول عن شركة المنصور للطباعة المحدودة ببغداد سنة ١٩٨٩، وصدر الجزء الثاني سنة ١٩٩٣ فزخر العراق باطباء كبار من وزن: محمود الجليلي وصلاح العسكري وفرحان باقر وكمال السامرائي ورافد صبحي اديب وقتيبة الشيخ نوري وجاك عبودي شابي والبير ربيع وادور ربيع وطلال ناجي شوكت وشوكت الدهان ومكي الواعظ ونعمت السحار ومحمود البحراني وريسان الفياض وناظم كاظم سعودي ووليد شوكت الخيال ومحمد الجلبي واسامة حقي عبد الكريم وخلدون درويش لطفي وغيرهم من النطاسيين الكبار.

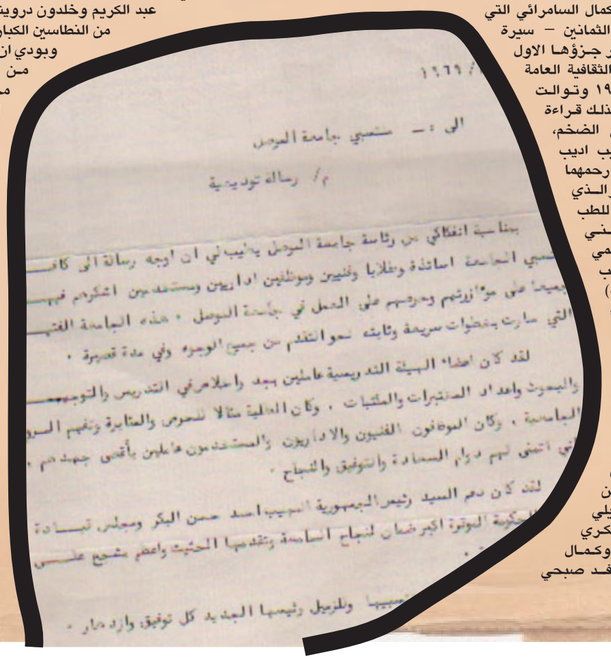

وبودي ان اذكر منقبة علمية من مناقب الدكتور محمود الجليلي اثناء توليه عمادة كلية طب الموصل ورئاسة جامعتها، لقد كان يحترم العلم والدرس احتراما لا يبارى ولا يجاريه فيه احد مما جعل جامعة الموصل من ارصن الجامعات علمية ونزاهة، والموصليون معروفون بالجد والمثابرة والنزاهة وكذلك العانيون، واذ ضرب العراق تخلخل القيم والمبادئ، بسبب الظروف المأساوية التي مر بها البلد منذ الثمانينات، ظل الموصليون، يواصلون الابحار والتجذيف عكس التيار المنحدر، فالدكتور الجليلي الذي يقدس العلم والدرس ما تساهل ازاء الطلبة الذين غادروا مقاعد الامتحان النهائي، يوم طرق سمعهم نشوب الحرب العربية الاسرائيلية ضحى يوم الاثنين الخامس من حزيران/ ١٩٦٧، فثارت فيهم ثائرة الشباب المتوقد، فخرجوا من الكلية تاركين دفاترهم الامتحانية نحو الشوارع للتظاهر، ما تساهل الجليلي معهم، وعدهم راسبين، لانهم لم يؤدوا الامتحان فكان حقهم ان يحصلوا على الصفر، وعلى الرغم من شكوى هؤلاء الطلاب في الصحف والمراجعة الشخصية فان الجليلي ما تراجع عن موقفه العلمي الصائب وبقي مصرا عليه، كما لم تتدخل الجهات العليا في الامر، وبقيت محترمة لرأي الدكتور محمود الجليلي وقراره الصائب في ضرورة الفصل بين العلم والدرس، والسياسة والتظاهر فمعاهد العلم يجب ان تحترم وتصان، وان يعطى للمقعد الدراسي الجامعي احترامه الواجب، ومن يريد العمل بالسياسة، فيجب ان يعمل خارج سور الحرم الجامعي، فانتجت تلك الرصانة العلمية جيلا رائعا سيظل العراق يفتخر به.
اني اذ اعيد للاذهان هذه الواقعة العلمية الرصينة، لارجو ان يطلع عليها ذوو الشأن للارتقاء بمستوى الدرس والتعليم في العراق من مراحله الدنيا وحتى الجامعية والدراسات العليا.
رحم الله الطبيب النطاسي والاداري الناجح والمربي النزيه المرموق محمود الجليلي ابن العراق والموصل الرائعة الحدباء

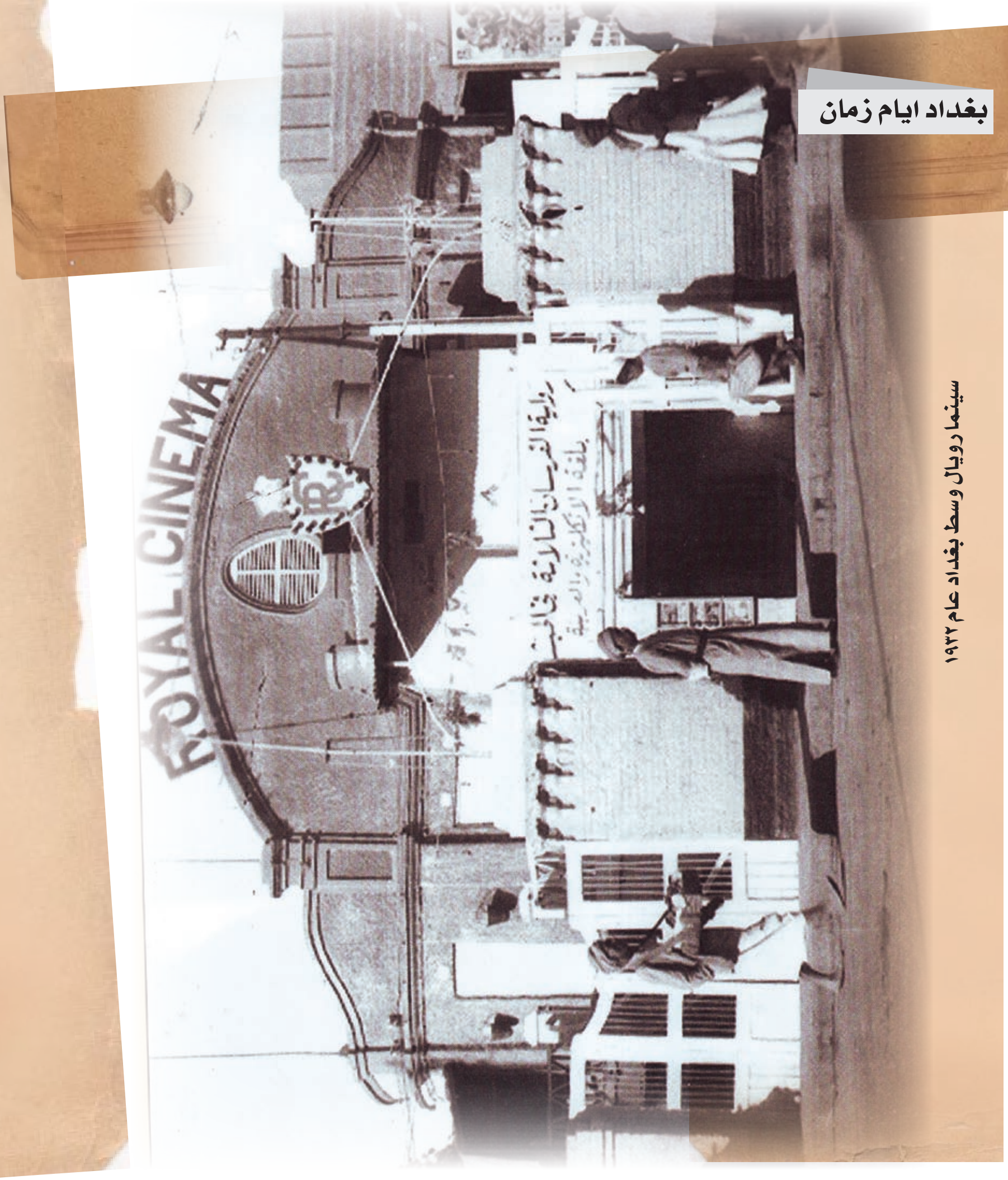

سينما رويال وسط بغداد عام ١٩٣٢

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
الإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة
الإعلام والثقافة والفنون